جميل خانكي

أمراء البحار في الأسطول المصري

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

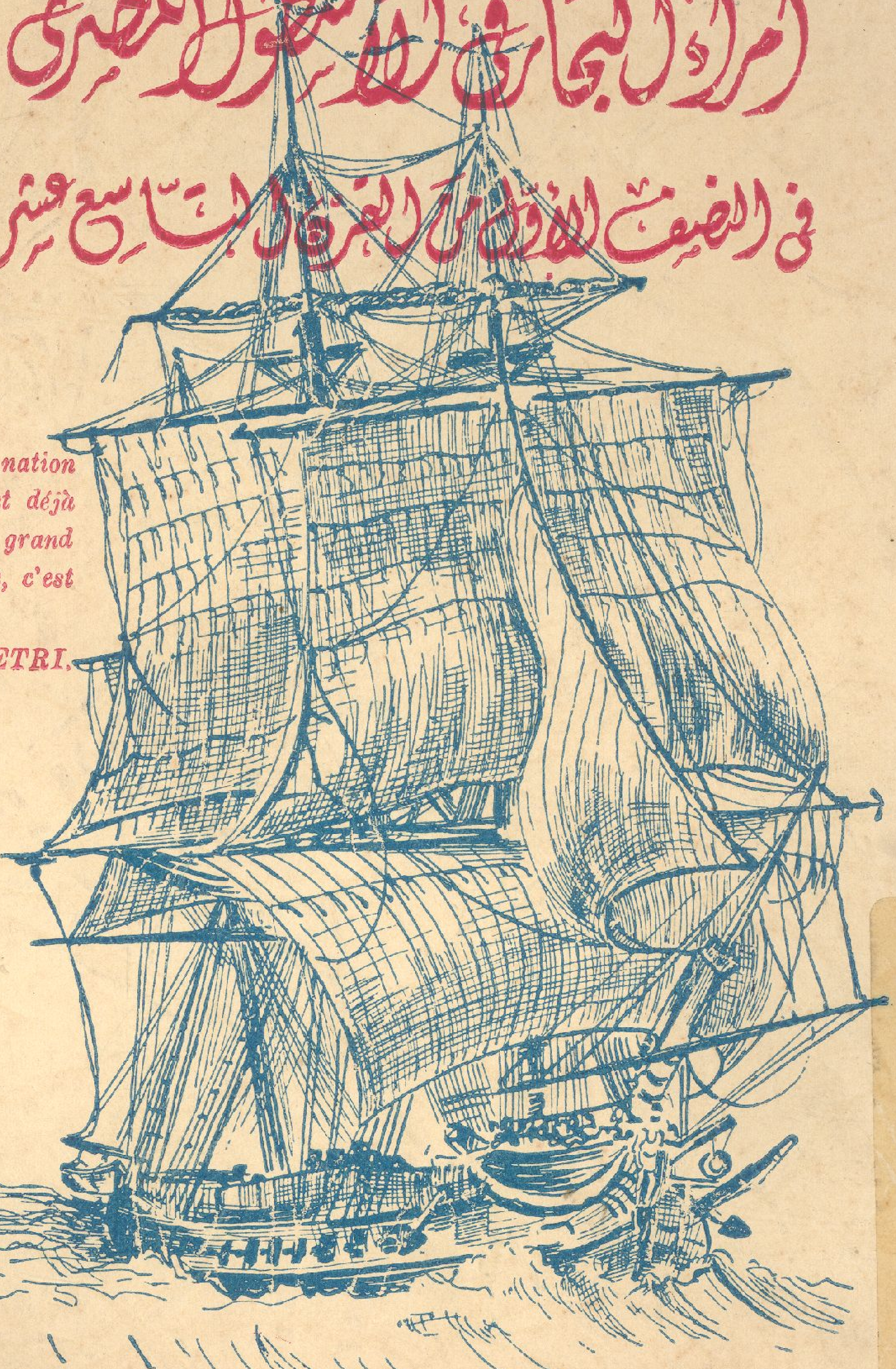

" Une grande nation sans marine, c'est déjà un paradoxe. Un grand empire sans marine, c'est un non-sens."

François PIETRI.

35

جميل خانكي

أمراء البحار في الأسطول المصري

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

" Une grande nation sans marine, c'est déjà un paradoxe. Un grand empire sans marine, c'est un non-sens."

François PIETRI.

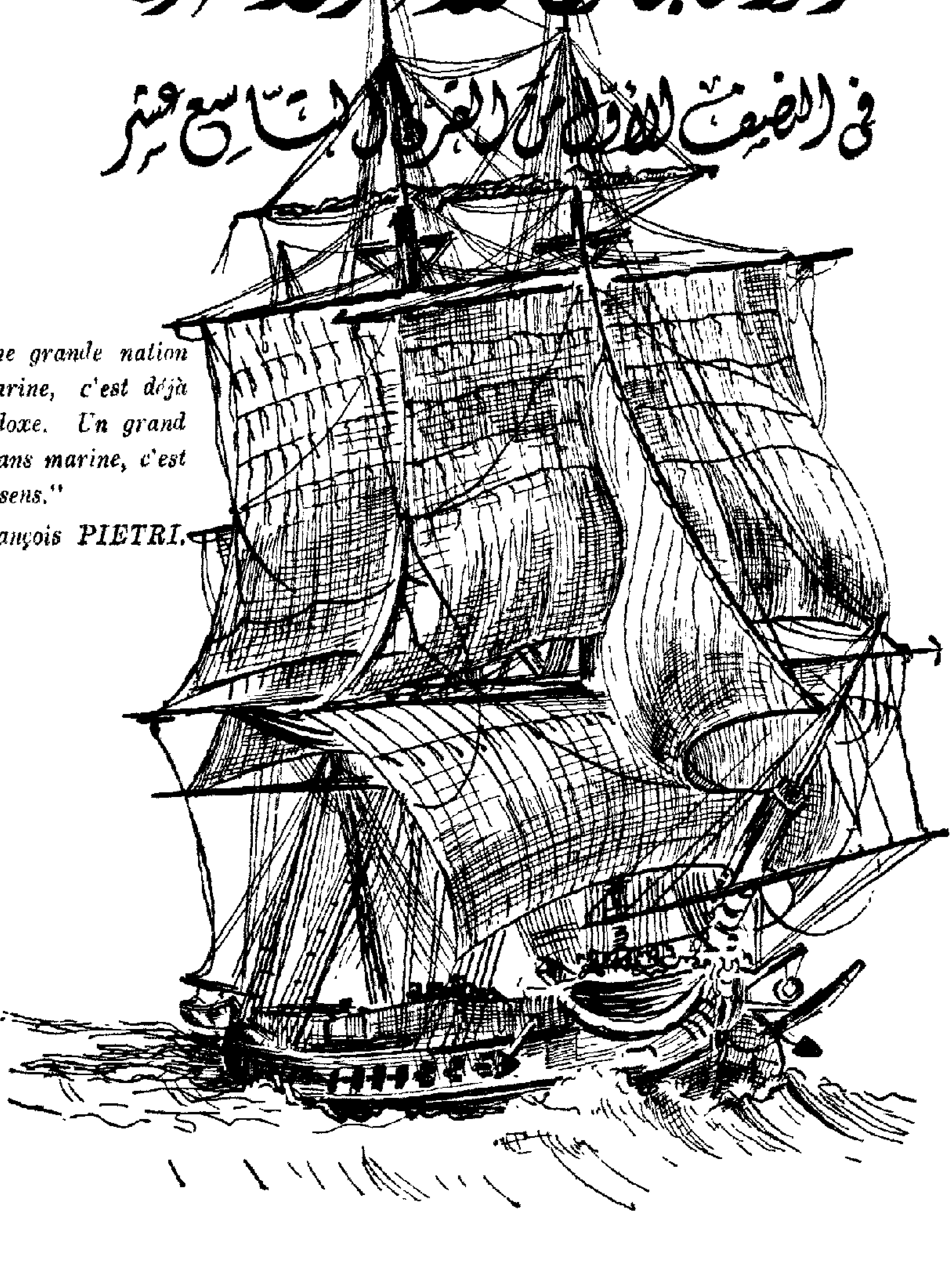

كلمة تصدير

بقلم

حضرة صاحب السعادة أمير البحار محمود حمزة باشا

هـذا كتاب يذكرنا بماضى مصر البحرى وما قام به أمراء البحار المصريون فى القرن التاسع عشر من جلائل الأعمال فرفعوا شأن مصر الى أوج المجد بما كان لها من أسطول عظيم فحقّ أن تخلد أسماؤهم .

وحينما أزيح كابوس الاستعمار الذى كان جاثماً على صدر مصر الناهضة كان أوّل خاطر طرأ على سليل أولئك الذين أنشأوا ذلكم الأسطول المجيد الذى توّج رأس مصر بأكاليل النصر والفخار أن أمر باعادة مجد مصر البحرى من جديد فأعاد تنظيم السلاح البحرى الملكى المصرى الذى سيغدو باذن الله تعالى وفضل الفاروق قوة يحسب حسابها .

وسيرى العالم من أشبال هذا الأسطول الحديث ماسمعوه عن أبطال أسطولنا القديم وستغدو مصر بفضل قوّته فى مقدمة الأمم البحرية فيرفرف علم مصر الخفّاق عالياً فى ربوع البحار .

وإنّا لنرى من تاريخ أمراء البحار المصريين الذين يضمهم هذا الكتاب دروساً عن البطولة والوطنية والتضحية وسيراً فيها نفع لأبناء الوطن وحافز لهم ليكرسوا علمهم وفنهم وجهودهم فى سبيل اعادة مجد الوطن

وإعلاء شأنه بين الأمم كما فعل السلف الصالح . فلا قوّة ولا مجد لأمة بدون أسطول بحري والحرب الأخيرة أكبر دليل على ذلك .

وإنا لنثنى ثناء عاطراً على جهود الأستاذ جميل خانكى لبحثه الفريد فى تاريخ ابطال البحار المصريين وما يتضمنه كتابه من حثّ ودعوة لاعادة مجد مصر البحرى ؟

ياور جلالة الملك وقائد عام السلاح البحرى الملكى

محمود حمزة

أمير البحار

٢٨ ابريل سنة ١٩٤٧

مقدمة

بين مجموعة الصور الزيتية النادرة التى تزيّن أحد القصور الملكية العامرة لوحة بديعة لعاهل مصر الأكبر محمد على باشا تمثّله جالساً فى شرفة قصر رأس التين قابضاً بيده اليمنى على خريطة الامبراطورية المصرية ومشيراً بيده اليسرى إلى قطع الأسطول المصرى الرابضة فى ميناء الاسكندرية كأن لسان حال مؤسس النهضة القومية يقول لأبناء الأجيال القادمة : « إنما تملكتُ ما بيُمناى بفضل ماتُومىء إليه يُسراى » .

دقّقت النظر فى تلك الصورة الرائعة وفيما حملت بين ثناياها من بليغ العظات والعبر فساءلت نفسى — ونحن على أهبة بعث جديد للشئون البحرية — كيف وفّق محمد على باشا بين عشية وضحاها إلى اختيار قواد للأسطول الضخم الذى ابتاع بعض وحداته من الخارج وبنى البعض الآخر فى دور الصناعة ببولاق وبالسويس وبالخرطوم وبالاسكندرية ؟ ومَن هم هؤلاء الرُبّانون الذين عقدوا ألويتهم خفّاقة على ساريات السفن المصرية وقادوها من نصر إلى نصر فى طول البحر الأبيض المتوسط وعرضه حتى تبوأ أسطول مصر — غداة كارثة نافارين — ثالث المراتب بين أساطيل العالم ؟

دفعنى هذا السؤال إلى كتابة إلمامة فى تاريخ أمراء البحار الستة الذين بنوا مجد مصر البحرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر :

اسماعيل بك جبل طارق (أو الجبل الأخضر) ، ومحرم بك (زوج توحيدة هانم كريمة محمد على باشا) ، وعثمان نور الدين باشا ، ومصطفى مطوش باشا ، والأمير محمد سعيد باشا (ابن محمد على باشا) ، وحسن الاسكندرانى باشا .

وقد مهّدت إلى سيرتهم بنبذة وجيزة فى تاريخ البحرية المصرية من أقدم العصور حتى اليوم ثم شفعتها ببيان القوات البحرية المصرية فى عصر محمد على باشا الكبير وفى عهد الخديو اسماعيل . وأضفت إلى هذا وذاك جدولا بأسماء أهم الوحدات البحرية وأنواعها وأجزائها قديماً وحديثاً باللغتين العربية والفرنسية . وأخيراً عرضت فى ذيل الكتاب ثلاثة اقتراحات ترمى الى إحياء السلاح البحرى المصرى .

وبعدُ فاللهمَّ وقد قيَّضتَ لمصر فاروقاً يسير بخطى ثابتة جريئة موفّقة على هدى آبائه الأماجد فاجعل من أبناء الكنانة قواداً وربابنة يتولون دفّة البلاد ويسيرون بها بين زعازع الحادثات وتصاريف الزمان إلى بر السلامة وثغر الأمان .

ابريل سنة ١٩٤٧ — جميل خانكى

محمد على باشا يشير الى قطع الأسطول المصرى الراسية فى ميناء الاسكندرية

نظرة عابرة فى تاريخ الأسطول المصرى

من أقدم العصور حتى اليوم

عصر الفراعنة :

إن تاريخ الأسطول المصرى يرجع إلى عصر الفراعنة ولعل أولى البعثات البحرية إنما تلك الرحلة التى قامت بها أربعون سفينة مصرية من شواطىء مصر إلى سواحل فينيقية لاستيراد خشب الأرز من لبنان فى عهدالملك « سنفرو » (Snofrou) آخر ملوك الأسرةالثالثة ، حوالى سنة ٢٩٢٠ قبل الميلاد .

وتوالت الحملات البحرية فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة (فيما بين سنة ٢٧٥٠ وسنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد) فاتجهت المراكب المصرية صوب بلاد «بنت» (Pouânit) وبلاد طور سيناء وحدود مصر الشمالية عن طريق ساحل « تيبا » شمالى العريش وعادت محملة بالمعادن النفيسة والجواهر الثمينة وعلى الأخص بعدالرحلة التى قامت بها السفن المصريةفى سنة ٢٦٧٣ فى عهد الملك ساحورع (Sahouri) ثانى ملوك الاسرةالخامسة.

وفى عهد سنخ كارع منحوتب (Mentouhotep) آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة جال الأسطول المصرى على سواحل البحرالأحمر وتعددت حملاته فى هذه الأرجاء حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

وفى سنة ١٤٩١ قبل الميلاد أرسلت الملكة حتشبسوت

(Hatshopsouit) بنت تحوتمس الأول ، بعثة بحرية مكونة من خمس سفن أقلعت إلى بلاد الحبشة وعادت منها بأثنتين وثلاثين شجرة من الأشجار النادرة غرست بعبد الدير البحرى الذى شيد بجهة « طيبة » وسجلت جوانبه المنقوشة هذه الصفحة المشرفة .

وفى عهد تحوتمس الثالث (Thoutmosis III) من ملوك الأسرة الثامنة عشرة بلغ الأسطول أوج عظمته ففتح بلاد الشام وبسط نفوذ مصر وسلطانها على جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط إلى ما وراء بحر ايجيه (البحر اليونانى) .

ولما استوى رمسيس الثانى (Ramsès II) على عرش الفراعنة فى سنة ١٢٩٢ قبل الميلاد جهز أسطولا ضخماً ضم ثلاثمائة قطعة بحرية استولى بها على سواحل البحرين الأبيض والأحمر .

وقد اشتبك الأسطول المصرى فى عهد رمسيس الثالث فى غضون سنة ١١٩١ قبل الميلاد فى أول معركة بحرية حاسمة سجلها التاريخ . ذلك أن أهالى البحر الأبيض المتوسط أخذوا يفدون على سوريا على عدد عديد من السفن مدججة بالسلاح فاستولوا على جزيرة قبرص (المعروفة قديماً باسم الاسا Alasa) وأخضعوا جميع بلاد الحيثيين شمالى سوريا حتى بلغوا مدينة قرقيش (Carcamish) الواقعة على نهر الفرات ثم زحفوا على أرواد (Arvad) وعلى ساحل فينيقية وساروا جنوباً حتى هبطوا مملكة آمون عن طريق نهر العاصى (Oronte) ناهبين سالبين غاصبين كل ما امتدت اليه أيديهم وهناك ضربوا خيامهم مولين وجوههم شطر مصر .

أما رمسيس الثالث فقد أخذ يعد عدته لصد هجوم أعدائه فحصّن حدوده وجمع أسطولا ضخماً على وجه السرعة ووزع مختلف وحداته على موانىء القطر الشمالية وسار على رأس قوة برية وبحرية إلى أن التقى بالعدو على الساحل الفلسطيني بالقرب من قلعة سميت باسمه عند سفح جبال آمور (Amor) . وقد دارت فى عرض البحر معركة بحرية حامية الوطيس بين الفريقين المتحاربين فلحقت الهزيمة بسفن الأعداء قبل أن تصل إلى الشاطىء حيث وضع رمسيس قوة برية مسلحة بالسهام صوبت أسلحتها الفتاكة القتالة نحو رجال أسطول العدو فأصلتهم ناراً حامية . ثم تقدم الأسطول المصرى نحو السفن الأجنبية لينقضّ على وحداته ويفتك برجاله فانتشر الذعر واختل النظام فى صفوفهم فغرق من مراكبهم ماغرق ودب الرعب فى نفوسهم فوجموا لما أصابهم وألقوا أسلحتهم فى البحر فسحبت سفنهم مقلوبة إلى الشاطىء المقابل وقد تكدست على ظهورها ركام القتلى من مقدمتها إلى مؤخرتها وألقيت حمولتها فى اليم قرباناً على هذا النصر المبين [١] .

وفى عهد الملك نيخاو (Néchao) ثانى ملوك الأسرة السادسة والعشرين طاف الأسطول المصرى حول القارة الافريقية فى سنة ٦١٦ قبل أن يقوم الرحالة البرتغالى فاسكودى جاما برحلته بزهاء واحد وعشرين قرناً .

وقد استطاع الفراعنة بفضل قوتهم البحرية أن ينشروا علم مصر

---

(١) كتاب « تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى » تأليف الاستاذ جيمس هنرى برستد وتعريب الدكتور حسن كمال طبعة سنة ١٩٢٩ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ ، وكتاب « تاريخ شعوب الشرق القديم » تأليف جاستون ماسبرو ص ٣١٤ ، وكتاب « مصر القديمة » تأليف شامبليون فيجاك ص ١٦٨ و ١٩٥

ويبسطوا سلطان مصر على بلدان البحر الأبيض المتوسط والبحر الاحمر في القارات الثلاث : الأوروبية والآسيوية والافريقية .

عصر البطالسة :

كان لبطليموس الثاني (Ptolémée II Soter) الذي تولى ملك مصر في سنة ٢٨٣ قبل الميلاد قوة بحرية عظيمة مخرت عباب البحر الابيض المتوسط من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق الى الغرب . إلاَّ أن هذا الأسطول الجبار التقى في سنة ٢٦٣ بأسطول أنتيجون (Antigone) من حكام آسيا الصغرى ، على مقربة من جزيرة كوس في بحر ايجيه ولحقت به الهزيمة بعد أن كان سيد البحار .

وكان أسطول بطليموس الثاني يتكون من ثلاثمائة وست وثلاثين من السفن الحربية ومن ألفي سفينة نقل .أما رجاله فكانوا يتألفون من عنصرين : المجدفين والمحاربين،الأولون من طبقة المزارعين وعمال المعابد والمسجونين ، والآخرون من طبقة ممتازة من المصريين ينضم عادة إليهم بعض المقدونيين والاغريق .

وكان الملك هو القائد الأعلى للقوة البحرية . وكانت سفن الاسطول تنقسم وحدات :على رأس كل وحدة قائد بحري يتلقى الأوامر من القائد الأعلى مباشرة .

وكان مجال نشاط هذا الاسطول الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط على وجه خاص وكانت أهمّ قواعده الاسكندرية وسلاميس (بجزيرة قبرس) وبعض الموانيء في جزر الارخبيل اليوناني مثل ساموس وكوس وكذلك جزيرة ثيرا (Syra) .

وفى القرن الثانى قبـل الميـلاد أخذ نفوذ مصر يتقلص بانتشار الامبراطورية الرومانية نحو الشرق، وسرعان ما فقدت مصر سيطرتها على الجزر والموانىء التى كانت خاضعة لها كما أصاب بحريتها شىء من الوهن وكسدت تجارتها مما أدى بكليوباترة ملكة مصر الى عدم المجازفة بأسطولها المؤلف من ستين سفينة حربية لما اشتبك انطونيوس مع اكتافيوس فى الثانى من شهر سبتمبر سنة ٣١ قبل الميلاد فى موقعة أكسيوم (Actium) التى فتحت أبواب مصر للرومان .

العصر العربى :

لعل أول انتصار أحرزه الاسطول المصرى فى ذلك العهد انما عند قدوم الامبراطور البيزنطى قنسطانس بن هرقل (Constant II fils d'Héraclius) لغزو الاسكندرية فى التاسع والعشرين من أغسطس سنة ٦٥٤ على رأس أسطول مكون من نحو ألف سفينة . فدارت بين مراكب عبد الله بن سعد بن أبى سرح صاحب مصر ومراكب الروم معركة بحرية حاسمة عرفت فى المراجع العربية بغزوة « ذات الصوارى » لكثرة ساريات السفن التى التحمت فى القتال واشتهرت فى المراجع الأوروبية بواقعة فونيكه (Phoenicus) لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكه غربى الاسكندرية.

على ان البحرية المصرية لم يكن لها شأن يذكر بعد هذه الموقعة حتى بداية خلافة أبى الفضل جعفر بن المعتصم وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق ابن شمر اذ نزل الروم دمياط فى ٢٩ أغسطس سنة ٨٥٢ على رأس ثلاثمائة مركب فسبوا ستمائة امرأة ونهبوا الدور وأحرقوا المخازن ثم خرجوا

مستفزعين إلى البحر . فكان هذا الحادث مثار عناية المصريين بانشاء أسطول يذودون به عن موانيهم ويصدون به إغارات الأعداء على شواطئهم.

« فقد وقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وأنشئت الشوانى برسم الاسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر وانتدب الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون لمحاربة العدو وكان لا يتزل فى رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب . هذا وللناس اذ ذاك رغبة فى جهاد اعداء الله واقامة دينه لا جرم انه كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل واحد من الناس رغبة فى انه يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه . وكان غزو الاسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التاريخ » . (١)

ولما تولى احمد بن طولون ملك مصر فى سنة ٨٧٠ توفر على الأخذ بناصية الاسطول فزاد فى بناء السفن وتجهيزها بالآلات واحاطتها بسياج وأسوار متينة. وكان مقر دار صناعة السفن بجزيرة الروضة التى كانت تسمى وقتئذ « جزيرة الصناعة » أو « جزيرة مصر » . ويبدو ان بناء السفن فى مصر كان له شأن عظيم فى ذلك العهد فقد ألقت أوراق البردى شعاعاً من النور على تلك الصناعة الزاهرة ونوهت بمهارة المصريين من عمال وصناع وملاحين كما سجلت تقدير الحكومة الاسلامية المركزية لذلك التفوق.

ولم يقتصر نشاط المصريين على اعداد الاسطول المصرى بل كان

---

(١) المقريزى : « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ، الجزء الثانى ، ص ١٩١ .

الوالى يرسل الملاحين المصريين للعمل فى اسطول المغرب أو فى أسطول المشرق والمساهمة فى المشروعات العامة للدولة الاسلامية .

ولما توفى ابن طولون فى سنة ٨٨٤ خلف من المراكب الحربية ألفاً .

وما ان استوى على عرش مصر المعز لدين الله الفاطمى فى سنة ٩٦٩ حتى استعاد الاسطول مجده وعزه بعد أن أصابه الضعف وذهبت شوكته فى أواخر أيام الدولة الطولونية وطوال حكم الدولة الاخشيدية .

ولما تبوأ صلاح الدين الأيوبى الأريكة المصرية فى سنة ١١٧١ خص الاسطول بكامل عنايته وأفرد له ديواناً خاصاً أسماه « ديوان الأسطول » ونصب على رأسه أخاه الملك العادل .وقد نال من النصر المبين ما توج به رأس مصر بأكاليل العز والفخار وسطره له التاريخ بحروف من ذهب . (١)

مصر المماليك :

عنى بالبحرية من أمراء المماليك على وجه الخصوص أثنان هما : الظاهر بيبرس البندقدارى (١٢٦٠ — ١٢٧٧) والناصر محمد بن قلاوون. وفى عهد هذا الاخير هاجم الاسطول المصرى جزيرة أرواد فى سنة ١٣٠٢ واستولى على ما فيها وهدم أسوارها انتقاماً من الاغارات المتكررة التى شنها قرصان البحر على الثغور المصرية وسطوهم على السفن التجارية المصرية فى عرض البحار •

(١) محمد ياسين الحموى : « تاريخ الاسطول العربى » (دمشق) .

عصر الأتراك :

لما فتح السلطان سليم الاول ديار مصر فى سنة ١٥١٧ ودخلت مصر فى حوزة آل عثمان احتفظت البلاد بقوتها البحرية . ووضع السلطان سليمان القانونى فى منتصف القرن السادس عشر نظاماً خاصاً لادارة السواحل وعين رباناً لكل ثغر من الثغور الثلاثة : دمياط والاسكندرية والسويس .

عصر محمد على باشا وخلفائه :

لما ولى محمد على باشا ولاية مصر أخذ فى بناء السفن فى دارى الصناعة ببولاق وبالسويس ثم أنشأ دارين اخريين لصناعة السفن احداهما بالخرطوم وثانيتهما بالاسكندرية حتى بلغ ما أنشىء منها فى عهده خمساً وثلاثين سفينة تحمل ١٩٢٠ مدفعاً و ٨٠١ ر ١٦ جندى فى حين بلغ عدد العمال المصريين المتخصصين بتلك الصناعة أربعة آلاف وستة وسبعين .

وقد استطاع محمد على باشا بقوة دهائه ومضاء عزيمته أن يبلغ أسطوله — بعد كارثة نافارين — المرتبة الثالثة بين أساطيل الدول العظمى (بعد انجلترا وفرنسا وقبل تركيا وروسيا) .

اما ابراهيم باشا فقد أنشأ ٥٢٠ حراقة تحمل كل منها مدفعين لحماية المضايق وصون الملاحة .

وفى عهد عباس باشا الأول وسعيد باشا اشترك الاسطول المصرى فى حرب القرم ضد روسيا فوقف الى جانب الحلفاء فى المعارك التى دارت رحاها فى البحر الأسود الى ان انتهت الحرب بهزيمة روسيا فى سنة ١٨٥٦ .

وفى عهد الخديو اسماعيل ضم الأسطول المصرى احدى وعشرين قطعة منها : « المحروسة » و« مصر » و « الغربية » و « محمد على » و« شبرجهاد » و « لطيف » و « الصاعقة » و « الخرطوم » و « دنقلة » . وقد خاضت الوحدات المصرية وقتئذ حربين اثنتين احداهما فى جزيرة كريت سنة ١٨٦٦ والثانية فى روسيا سنة ١٨٧٧ كما ساهمت فى نقل الجنود المصريين الى السودان والى الجبل الاسود والى بلاد الصرب لاخماد الفتن فيها.

وما ان رزحت مصر تحت نير الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢ حتى اندثرت البحرية المصرية وأصبحت أثراً بعد عين .

واليوم بعد سبات دام حوالى ثلاثة أرباع القرن ينهض الأسطول المصرى نهضة مباركة . فهذه بحريتنا قد ساهمت فى الحرب الاخيرة (١٩٣٩ — ١٩٤٥) مساهمة فعلية ففقدت ٢٢ ٪ من حمولة سفنها وأصيب نحو ٥٠ ٪ من مجموعها اصابات شديدة جعل القائد العام لأساطيل الدول المتحالفة فى البحر الابيض المتوسط يرسل كتاباً الى الحكومة المصرية ينوه فيه بما قدمت البحرية المصرية الى الحلفاء من معونة كان لها أثرها فى احراز النصر .

وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وقع حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول مرسوماً ملكياً بتنظيم السلاح البحرى الملكى هذا نصه :

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على الأمر العالى الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بتوزيع مصالح الحكومة بين الوزارات ؛

وعلى الأوامر العالية والمراسيم المعدلة له ؛

وعلى المادتين ٤٤و٤٦ من الدستور ؛

ونظراً الى ان استكمال وسائل الدفاع عن البلاد يقتضى اعادة تنظيم البحرية المصرية لتقوم بمهمتها الى جانب القوات البحرية الأخرى ؛

وبعد الاطلاع على ما ارتأته الجمعية العمومية لمجلس الدولة :

وبناء على ما عرضه علينا وزير الدفاع الوطنى وموافقة رأى مجلس الوزراء ؛

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ — يطلق على القوة البحرية المصرية اسم السلاح البحرى الملكى .

مادة ٢ — يكون السلاح المذكور قائماً بذاته ويلحق بوزارة الدفاع الوطنى .

مادة ٣ — يتألف السلاح البحرى الملكى من وحدات بحرية حربية ويتولى قيادته قائد عام يكون له من السلطة والاختصاص ما للمديرين العامين للمصالح .

مادة ٤ — على وزير الدفاع الوطنى تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

صدر بقصر القبة فى ٢٩ المحرم ١٣٦٦ (٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦) .

فاروق

وزير الدفاع الوطنى

احمد عطيه

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

محمود فهمى النقراشى

وفى خلال شهر مايو المقبل ينتظر أن يوافق البرلمان على أول ميزانية للسلاح البحرى الملكى المصرى فيبادر هذا السلاح الى استيراد بعض القطع البحرية من الخارج تنضم إلى الطوافة وإلى العشرين قارباً مصفحاً السابق شراؤها من الولايات المتحدة الامريكية والتى سيتكون من مجموعها نواة الأسطول الجديد .

وقد روعى فى تنظيم السلاح البحرى أن يكون على أحدث الانظمة البحرية العالمية وألحقت به مدرسة الأسلحة البحرية للتدريب على أعمال

المدفعية البحرية والقاء الطوربيدات، وبث الألغام والتقاطها كما ألحقت به أيضاً مدرسة الاشارة البحرية ، ومدرسة الهندسة البحرية ، ومدرسة فن البحر لاعداد النوتية . هذا فضلا عن الكلية البحرية الملكية التي تستعد لاستقبال الخمسين طالباً الذين يتم اعدادهم الآن بالكلية الحربية بالقاهرة حتى إذا ما انتهوا من التمرينات الحربية البرية سافروا إلى الاسكندرية للالتحاق بالكلية البحرية الحديثة .

وهكذا سيُبعث الاسطول المصرى من جديد ويرفرف علم السلاح البحرى خفّاقاً فى مشارق البحار ومغاربها وتستعيد البلاد مجدها البحرى التليد فى ظل سيد البحار الأعظم « فاروق الأول » .

علم السلاح البحرى الملكى المصرى

(١)

إسماعيل بك جبل طارق

أو الجبل الاخضر

هو ذلك القائد البحرى الذى تلقبه المصادر التاريخية الأجنبية تارة باسم «اسماعيل جبل طارق» (Ismaïl Djebaltar)[١] وتارة باسم « اسماعيل الجبل الأخضر »(Ismâyl - Gebelakdar)[٢]. وهو أول قائد بحرى ورد اسمه فى تاريخ البحرية المصرية عند ما صح عزم محمد على باشا على تكوين أسطول قوى يساعده على بسط سيادته فى البحر الأحمر حتى موانىء جزيرة العرب .

ذلك أن الوالى كان قد وصّى محمد أغا على انجاز صنع الفرقاطة « إفريقا » فى ميناء الاسكندرية وما أن تم اعدادها فى شهر فبراير سنة ١٨١٠ حتى استدعى محمد على باشا القبودان اسماعيل جبل طارق وقلده قيادتها من الثغر السكندرى حتى السويس فى رحلة شاقة وطويلة حول القارة الافريقية بعد استكمالها تركيب الآلات الحربية فى لندن . غير أنه لم يكتب لتلك الفرقاطة أن تمخر عباب البحر الأحمر إذ تدخلت السياسة البريطانية فى الأمر بناء على احتجاج شركة الهند الانجليزية وحالت دون ابحار الفرقاطة « إفريقا » إلى السويس بل اعادتها إلى الاسكندرية

---

(١) الاميرال دوران فيل : « حملات محمد على وابراهيم البحرية » ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ وما بعدها . والجنرال فيجان : « تاريخ محمد على واولاده الحربى » ، الجزء الاول ، ص ١٩٠

(٢) ادوار جوان : « مصر فى القرن التاسع عشر » ، ص ٣٨٠

حيث وصلت في شهر يناير سنة ١٨١٢ مزودة بثلاثين مدفعاً جعلت منها نواة أسطول مصر الذى انتوى محمد على باشا إنشاءه وتم على يديه تحقيقه.

وإلى جانب الاسطول الحربى أراد محمد على باشا أن يكون لمصر نصيب وافر من التجارة الدولية فما أن عاد اسماعيل جبل طارق من لندن حتى أوفده فى السنة التالية إلى جزيرة مالطة حيث أنشأ وكالة لتصريف الصادرات المصرية وعين ابنه مديراً لها بعد مضى سنتين. وأزاء نجاح هذه الوكالة تعددت مثيلاتها فى تريسته ومرسيليا وجنوه وكذلك فى ليفورن حيث أقام اسماعيل جبل طارق مشرفاً منها على مختلف الوكالات المصرية فى الخارج.

وفى سنة ١٨١٦ سافر اسماعيل جبل طارق فى رحلة طويلة زار خلالها لندن وباريس وهامبورج واستكهولم عاصمة السويد واجتاز بلاد روسيا وعاد إلى مصر عن طريق البحر الأسود والاستانة بعد أن وقف بنفسه على حالة الأسواق الأجنبية وعلى مبلغ حاجاتها من المحصولات والمنتجات المصرية.

غير أنه فى شهر مارس سنة ١٨٢١ شبت الثورة الأهلية فى بعض المقاطعات اليونانية وكانت داخلة وقتئذ تحت حكم سلاطين آل عثمان يحكمها الولاة الترك الذين كانت تنصبهم حكومة الاستانة. وسرعان ما اندلع لهب الثورة إلى بلاد المورة حيث بادر اليونانيون إلى رفع علم الجهاد فى البحر والبر. ففى البحر أخذت سفنهم المسلحة تقطع الطريق على المراكب التركية في بحر الأرخبيل وتأسرها أو تدمرها وتفتك بركابها قتلاً وأسراً ونهباً. وفى البر استولى الثوار على أهم مدن المورة واحتلوا تريبولتزا (Tripolitza) عاصمتها ونكلوا بالأتراك المقيمين فيها تنكيلاً فظيعاً.

ولما استفحل أمر السفن اليونانية فى البحر أرسل السلطان محمود الثانى فى سنة ١٨٢١ الى محمد على باشا يعهد اليه بتجريد أسطوله لتطهير البحر من قرصنة تلك السفن . فأسرع الوالى الى تلبية نداء السلطان وأعد على جناح السرعة ست عشرة سفينة كاملة السلاح والعتاد بها ثمانمائة مقاتل من حامية الاسكندرية على رأسهم طبو (زاده) أوغلى قبوجى باشى محمد أغا[١] . وقد أقلعت هذه العمارة من ثغر الاسكندرية فى يوم ١١ يوليه سنة ١٨٢١ بقيادة أمير البحار الأول اسماعيل بك جبل طارق يعاونه قرصان قديم يدعى جوستنيانى (Giustiniani) .

وقد أشار عبد الرحمن الجبرتى الى هذه الوقائع فيما دونه عن حوادث ذى القعدة سنة ١٢٣٦ اذ قال :

« وفى منتصفه سافر الباشا الى الاسكندرية لداعى حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من استانبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضاً من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحاً عن آخرهم ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك وشاع ذلك بالنواحى وانقطعت السبل فنزل الباشا إلى الاسكندرية وشرع فى تشهيل المراكب مساعدة للدونانمة السلطانية ».

اتجه الأسطول المصرى نحو جزيرة رودس ثم واصل سيره الى الدردنيل حيث التقى بالاسطول التركى فى يوم ١٦ يوليه بالقرب من ايفيس (Ephèse) . وفى يوم ٦ أغسطس خرج الأسطولان معاً وطاردا السفن

---

(١) هو والد حسين بك طبوزاده وجد محمود حمدى باشا أبو حسين رشدى باشا من رؤساء مجلس الوزراء السابقين .

اليونانية فى بحر ايجيه إلى أن ألقت الوحدات العثمانية والمصرية مرساها على مقربة من زانت (Zante) ثم عند مدخل خليج بريفيزا (Prévéza) حيث أغرقت ستة وثلاثين مركباً يونانياً فى حين وقعت ثلاثون أخرى فى الأسر واقتيدت مع بحارتها المشنوقين فى أعلى سارياتها إلى الدردنيل. وقد قضى الأسطول المصرى أشهر الشتاء بعيداً عن مصر استعداداً للحملة البحرية القادمة التى استهدفت فيها لهجوم السفن اليونانية العنيف مما اضطرت معه السفن المصرية إلى العودة إلى الاسكندرية حيث وصلت فى أوائل مارس سنة ١٨٢٢ وقد هبط عدد وحداتها إلى إحدى عشرة سفينة منها أربع فرقاطات كانت فى حاجة ماسة الى مرمات كبيرة.

ولما كانت الثورة اليونانية قد امتدت إلى جزيرة كريت وظهر الثوار على الحاميات التركية التى اضطرت إلى الامتناع فى بعض قلاع الجزيرة فقد عهد السلطان محمود الثانى إلى محمد على باشا مهمة اخماد الثورة فيها هى أيضاً. وسرعان ما أعد الوالى حملة مؤلفة من خمسة آلاف جندى بقيادة حسن باشا اقلتهم السفن المصرية من الاسكندرية إلى كريت حيث نزلوا إلى البر فى غضون شهر يونيه سنة ١٨٢٢ ففكوا حصار الحاميات التركية وطاردوا الثوار وشتتوا شملهم. وقد لاقى حسن باشا حتفه خلال الفتح وخلفه حسين بك فى قيادة الجند فشن هجوماً على كاكسوس (Caxos ou Cachout) واسكربانتو (Scarpanto) حيث تحصن الثوار فى معاقلها. وأنفذ اليها ست عشرة سفينة حربية مصرية وثمانى نقالات والفين من الجند على

رأسهم الفرقاطة « ثريًا » مقلة محمد قبودان والفرقاطة « ديانا » معقودة اللواء لاسماعيل جبل طارق .

وفى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٢٤ ألقت الوحدات المصرية مرساها امام ثغر كاكسوس فأصلتها حاميات الثوار ناراً حامية وردت السفن التحية بأحسن منها ! غير أن الفرقاطة التى كانت تقل اسماعيل جبل طارق ارتطمت بصخرة فأصيبت ببعض الخلل اضطرت من أجله أن تقلع إلى جزيرة رودس للتصليح والترميم .

ولم تنقض خمسة عشر يوماً حتى كان اسماعيل جبل طارق قد أتمّ تصليح فرقاطته وعاد الى كاكسوس ومعه فرقاطتان عثمانيتان استحضرهما معه من رودس . وما أن وصل فى العاشر من يونيه حتى بدأ القتال عنيفاً متواصلا على حصون الثوار الذين أخذوا على غرة فألقوا أسلحتهم وآثروا الاستسلام وتسليم خمس عشرة سفينة من سفنهم وواحد وسبعين من مدافعهم وثمانمائة من الأرقّاء إلى رجال الأسطول المصرى الظافرين . وبهذا النصر الحاسم استتبّ الامن وساد السكون فى أرجاء جزيرة كريت بفضل القوة المصرية البحرية بعد أن عجز العثمانيون عن إخماد فتنتها .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٨٢٤ استهدفت سفينة اسماعيل جبل طارق لهجوم شنته عليها الحرّاقات اليونانية بالقرب من ميناء ستنكو (Stancho) ولكنه استطاع قبل أن يجنّ الليل أن يصيب أحد المراكب اليونانية اصابة قضت عليها وأوقعتها أسيرة فى أيدى المصريين فى حين لاذت باقيها باهداب الفرار فى جوف الظلام .

وفى ميناء ستنكو هذا اجتمع ابراهيم باشا بالقائد الفرنسى دروهو

اسماعيل بك جبل طارق

(Drouhault) بحضور اسماعيل جبل طارق والكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) وقنصل أزمير وأحد المترجمين . وفى هذه المقابلة أسرَّ دروهو – وكان من القواد البحريين الذين يشار اليهم بالبنان – لابراهيم ببعض الخطط الحربية لاخضاع اليونان ومنها التمهيد بالهجوم على المورة.

وقد اشترك اسماعيل جبل طارق مع ابراهيم باشا فى انزال القوات البرية فى شبه جزيرة المورة فى غضون شهر مارس سنة ١٨٢٥ بقيادة بعض سفن الأسطول المصرى من خليج السودا إلى مينائى كورون (Coron) ومودون (Modon).

ولعلَّ هذه المهمة كانت آخر مهمة عهدت الى اسماعيل جبل طارق إذ كانت قد تقدمت به السن وانتابه المرض فاضطر الى العودة الى الاسكندرية حيث انزوى فى عقر داره ولفظ النفس الأخير فى أوائل سنة ١٨٢٦.(١)

وقد انفرد المؤرخ الفرنسى ادوار جوان بالحكم على اسماعيل بك جبل طارق حكماً قاسياً جداً تطبعه صرامته بطابع التحيّز والهوى إذ قال :

"L'amiral Ismayl- Gebalakdar, tombé malade à Rhodes mourut sur mer en route pour Alexandrie. C'était un vieillard instruit sur toutes choses étrangères à son métier. Il connaissait plusieurs langues du nord; mieux eût valu un peu moins d'ignorance en fait d'art maritime: la navigation égyptienne aurait eu à subir de moins tristes désastres ." (٢)

(١) غير ان المؤرخ الفرنسى ادوار جوان ذكر فى مؤلفه « مصر فى القرن التاسع عشر » ص ٣٨٠ ان اسماعيل جبل طارق توفى فى سنة ١٨٢٥ وهو فى عرض البحر على ظهر المركب الذى كان قد استقله من رودس للعودة الى الاسكندرية . اما الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فقد ذكر فى كتابه « تاريخ الحركة القومية — عصر محمد على » ص ٤٢٧ ان اسماعيل جبل طارق توفى اثناء الحرب اليونانية . أما الرأى الذى آثرنا الاخذ به فقد ذكره الاميرال دوران فييل فى مؤلفه « حملات محمد على وابراهيم البحرية » الجزء الاول ص ٢٨٧ .

(٢) ادوار جوان : « مصر فى القرن التاسع عشر » ، ص ٣٨٠ .

وتعريبه : « قد توفى الأميرال اسماعيل الجبل الأخضر وهو فى عرض البحر فى طريق عودته الى الاسكندرية متأثراً بعرض أصابه فى جزيرة رودس . وقد كان شيخاً لايغيب عنه شيء ما إلاّ ماءمتّ إلى صناعته . وكان ملمّاً بلغات أهل بلاد الشمال . وحبّذا لو كان أقل جهلاً بفنون البحر إذ كانت الكوارث التى أصابت البحرية المصرية أقل فداحة . »

وربما كانت أحسن شهادة بكفاءة اسماعيل جبل طارق ومقدرته تلك التى جاءت على لسان المسيو دى ريفرسو (De Reverseaux) وضمنه أحد تقاريره إذ قال :

" Si l'on en excepte Ismail Djebaltar qui commande avec distinction la flotte du Vice-Roi d'Egypte, et que j'ai vu l'an dernier (en 1822) parcourir audacieusement l'Archipel avec une simple frégate, pas un amiral turc ne peut passer pour avoir du talent, de l'expérience et même de la bravoure. "

وتعريبه : « إذ استثنينا اسماعيل جبل طارق الذى يتولى قيادة أسطول والى مصر بمهارة فائقة والذى شاهدته فى العام الماضى (سنة ١٨٢٢) يمخر بفرقاطة واحدة مياه الأرخبيل بكل شجاعة فان ما من أمير بحار تركى يمكن اعتباره ذا كفاءة أو خبرة أو حتى بسالة مثله . »[1]

---

(١) المصادر :

Vice-Amiral Durand-Viel : " *Les campagnes navales de Mohammed Aly et d'Ibrahim* ".

والاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك : « تاريخ الحركة القومية ـ عصر محمد على ».

(٢)

محرم بك

ولد محرم بك بمدينة قوله حوالى سنة ١٧٩٥ ثم هاجر من بلاده وجاء إلى مصر وتقرّب إلى محمد على باشا ولم يلبث أن آنس فيه الوالى من الصدق والاخلاص وحميد الصفات ما حدا به الى وضع كامل ثقته فيه فاتخذه صهراً له وزوّجه من كريمته تفيدة هانم [1].

وفى سنة ١٨١٠ عين محرم بك حاكما للجيزة وكان متولياً إدارة هذا الأقليم فى أول مارس سنة ١٨١١ عند ما وقعت مذبحة المماليك بالقلعة فاستولى بناء على أمر محمد على باشا على أموال المماليك المقيمين فى مديريته من خيول وجمال وهجن وغيرها.

وحوالى سنة ١٨٢٠ أسند محمد على باشا الى محرم بك منصب محافظ الاسكندرية فأظهر من الكفاءة والمواهب فى حسن إدارة دفة أمور هذه المدينة ما أهّله فى غضون سنة ١٨٢١ — علاوة على منصبه — للاشتراك مع اسماعيل بك جبل طارق فى قيادة السفن المصرية التى خرجت الى المياه العثمانية لمساعدة الدولة العلية فى حرب المورة.

وفى ٢٥ يونيه سنة ١٨٢١ (٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦) أصدر اليه محمد على باشا أمراً باللغة التركية هذا تعريبه:

(١) ولدت تفيدة هانم بنت محمد على باشا فى سنة ١٧٩٧ (١٢١٢ هـ) وتوفيت بالاسكندرية فى سنة ١٨٣٠ ودفنت بمقابر الاسرة المالكة بالنبى دانيال.

« قد علم لكم أنه أحيل تأديب الأروام الثائرين على الدولة الى عهدتى . وحيث أن السفن الحربية التى استعدت لغاية الآن قدبلغت أربعة عشرة سفينة فقد أنبتكم عنى فى قيادتها فتوكلوا على الله تعالى وأسرعوا بالاقلاع بها الى الجهة المقصودة وأدوا الخدمة اللازمة فى هـذه المأمورية حسبما تقتضيه حقوقها المقدسة . وقـد حررت صورة من هـذا الأمر الى مطوش قبودان الذى ستسافر سفينته بمعيتكم » . (١)

ولـما كان الجيش المصرى تحت امرة ابراهيم باشا قـد عبر البحر الابيض المتوسط ونزل فى أرض اليونان شاهراً سلاحه فقد عزم الثائرون اليونانيون على القيام بعمل حازم ينتقمون به من المصريين فعهدوا بهذه المهمة الى أحد زعمائهم كاناريس (Kanaris) الذى أقلع على ظهر أحـد المراكب تحرسه حراقتان ورفع على سارياتها أعلاماً روسية أو انجليزية حتى وصل الى الاسكندرية يوم ١٠ أغسطس سنة ١٨٢٥ وتسرب خلسة داخل مينائها ودفعت الرياح مراكب كاناريس حتى صارت على مقربة من السفن المصرية الراسية أمام قصر رأس التين . غير أنه اتفق أن مرّ فى هـذه اللحظة زورق الجمارك فتعرف ركابه على المراكب اليونانية وافتضح أمرها فتجاوب الثغر نداء الخطر وانطلقت المدافع من كل جانب صوب السفن الأجنبية حتى اضطر كاناريس الى اللاذ بأهداب الفرار بعد أن ترك من ورائه مركبه طعاماً للنيران ووقع بحارته أسرى فى قبضة المصريين . وقد انطلق ابريق خفرالسواحل فى أثر مراكب اليونانيين الفارين واستقلّ محرم بك محافظ الاسكندرية فى اليوم التالى

---

(١) الامير عمرطوسون : « صفحة من تاريخ مصر فى عصر محمد على » ، هامش صفحة ٦٩ .

فرقاطة تتبعها أربعة أباريق وأراد اللحاق بها ولكنه قفل راجعاً فى المساء دون أن يتمكن من الاهتداء إليها .

وما أن سمع محمد على باشا بهذا الخبر حتى ركب من فوره إبريقاً فى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٢٥ وأراد أن ينتقم بنفسه من تلك الاغارة الجريئة فوصل إلى شواطىء جزيرة رودس ولكنه لم يقف لليونانيين على أثر فعاد من حيث أتى فى العشرين من أغسطس .

ولشدَّ ما كانت دهشة الوالى عند رجوعه إذ علم أن غداة يوم ابحاره — أى فى يوم ١٣ أغسطس سنة ١٨٢٥ — حضر الى الاسكندرية أسطول عثمانى مكون من ثمانى فرقاطات وتسع قراويت وأربع وعشرين وحدة من أباريق وغوالت تحت قيادة خسرو باشا . فرحَّب محمد على باشا بمقدمه ووضع تحت تصرفه مليوناً من القروش وأصدر أوامره الى دار صناعة السفن بانجاز ما قد تحتاج اليه السفن العثمانية من تصليح أو ترميم .

وفى يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٨٢٥ (٢٩ صفر سنة ١٢٤١ هـ) عين محمد على باشا صهره محرم بك قائداً للدونانمة المصرية تحت امرة ابراهيم باشا وخصه بمرتب قدره ١٫٠٠٠٫٠٠٠ قرش سنوياً أى ٨٣٥ جنيهاً شهرياً [1] فكان ثانى أمراء البحار فى ذلك العصر ولما يتجاوز الثلاثين من عمره بعد .

وفى يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٨٢٥ أبحر من الاسكندرية الأسطول المصرى والأسطول التركى البالغ مجموع قطعهما ١٢٩ وحدة (منها ٦٥ مسلحة للحروب) وعلى ظهرها ١١٫٠٠٠ جندى بعد أن عقد محرم بك لواءه على الفرقاطة «الاحسانية» التى اتخذت مكانها على اليمين . وفى

(١) البكباشى عبد الرحمن زكى : «الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير» ص ١٨٨

يوم ٢٧ اكتوبر ألقت السفن مرساها فى جزيرة كريت ومنها تابعت سيرها الى ميناء نافارين حيث خفّ ابراهيم باشا لاستقبالها عند وصولها فى الخامس من نوفمبر سنة ١٨٢٥ .

وقد لبث محرم بك يتنقّل من ثغر الى ثغر فى الشواطىء اليونانية باحثاً منقباً عن مياوليس (Miaulis) وسختوريس (Sachtouris) من قواد البحر اليونانيين حتى سقطت ميسولونجى فى قبضة ابراهيم باشا فى الثانى والعشرين من مارس سنة ١٨٢٦ فأبحر على أثر ذلك فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٢٦ وعاد الى الاسكندرية .

وفى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٢٦ خرجت من ثغر الاسكندرية قوة بحرية مؤلفة من فرقاطتين وخمس قراويت وثمانية عشرة إبريقاً وثمانى غوالت بقيادة محرم بك وانضمت اليها ٢٧ نقالة عثمانية و ٢٣ (وفى رواية أخرى ٢٦) مركباً تجارياً أوروبياً غالبيتها مستأجرة من النمسا . ولم تكن المهمة المنوطة بها هذه المرة هى نقل الجند من مصر الى اليونان بل كانت مهمتها حمل المؤن والذخيرة الى تلك البلاد . وعلى الرغم من الصعوبات التى اعترضت طريقها فقد وصلت القافلة البحرية سالمة الى ميناء نافارين فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٦ وأبحرت منه فى يوم ١١ الى خليج السودا ومنها أقلعت فى يوم ٢١ يناير سنة ١٨٢٧ عائدة الى الاسكندرية فوصلت اليها فى اليوم الثامن والعشرين من يناير سنة ١٨٢٧ .

وفى شهر مارس سنة ١٨٢٧ أبحر محرم بك من الاسكندرية الى جزيرة كريت على رأس فرقاطة وعشرة قراويت وأباريق مقلّة سليمان أغا حاكم الجزيرة الجديد ومعه بعض القوات . وبعد أن وقفت هذه السفن

قليلا بكريت تابعت سيرها الى كورون ونافارين حيث وضعت نفسها تحت تصرف ابراهيم باشا لتعاونه فى الهجوم على قلعة ترنيز (Castel Tarnese) ولم تطل الاقامة بها هناك إذ عادت إلى مصر فى غضون الشهر نفسه .

وفى مستهل فصل الربيع سنة ١٨٢٧ قدم الاميرال الانجليزى كوشرين (Cochrane) إلى الاسكندرية على رأس أربع وعشرين سفينة من بينها الفرقاطة « هيلاس » (Hellas) التى عقد عليها لواءه . وكان قد بيّت نيته — كما صرح بذلك عند ابحاره — على أن يعيث النار والفساد فى المدينة . غير أن محمد على باشا لم يعبأ بوعيد القائد البريطانى الذى طبّقت شهرته الآفاق وأصدر أوامره فى الحال بالتأهب للقتال فاضطر الأميرال كوشرين إلى الاسراع فى الاقلاع واستقلّ محرم بك فرقاطة سارت من ورائها ثلاث أخرى وأخذ يبحث فى طول البحر وعرضه عن الأميرال الانجليزى وعن مراكبه ولكنه لم يقف لها على أثر فعاد الى الاسكندرية فى التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٨٢٧ .

وفى أواخر يونيه سنة ١٨٢٧ خرج محرم بك ثانية إلى البحر بعد أن عقد لواءه على الفرقاطة « الجهادية » على رأس خمس فرقاطات أخرى وخمس قراويت وتسعة أباريق وغوالت فتولى حراسة قافلة مكونة من عشر سفن قادمة من ازمير الى الاسكندرية . وقد بلغ محرم بك جزيرة رودس حيث قسم سفنه قسمين : قسما أقلع غربا وقسما أبحر شرقاء ثم التقى الجمعان فى ثغر الاسكندرية يوم ١٣ يوليه سنة ١٨٢٧ .

ولم تنقض عشرة أيام على وصوله حتى عاد محرم بك الى ركوب البحر فعقد لواءه على الفرقاطة « الجهادية » وخرج على رأس قوة بحرية

مصرية مؤلفة من إحدى وثلاثين قطعة من بينها أربع فرقاطات وعشرة قراويت وستة أباريق وخمس شوانى وست حراقات انضمت اليها قوة بحرية عثمانية بقيادة القبودان حسين بك مؤلفة من عشرين وحدة من بينها سفينتان وخمس فرقاطات وتسعة قراويت وكذلك ثلاث فرقاطات وابريق واحد من تونس كما سارت فى أثر الحملة خمس وعشرون نقالة وخمس سفن نمساوية مستأجرة وثمانى قطع صغيرة . فأقلع مجموع هذه القوات البالغ عددها تسعاً وثمانين قطعة تقل ٤٫٦٠٠ مقاتل من ثغر الاسكندرية فيما بين يومى ٢٣ يوليه و ٥ أغسطس سنة ١٨٢٧ قاصداً شبه جزيرة المورة لامداد جيش ابراهيم باشا هنالك . وكان الغرض الأول من هذه الحملة إنما محاصرة جزيرة هيدرا (Hydra) التى كانت أهم معقل للثورة اليونانية .

وفى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٢٧ رست العمارة المصرية بميناء نافارين وانضمت الى أسطول تركى آخر مؤلف من اثنتين وثلاثين قطعة من بينها سفينة واحدة وتسع فرقاطات واحد عشر قراويت وتسعة أباريق وكذلك قرويت وأبريق من طرابلس حضرت جميعها من الاستانة بقيادة أمير البحر طاهر باشا . وقد تولى ابراهيم باشا القيادة العامة للقوات البرية والبحرية وأخذ يتأهب لتجهيز حملة بحرية على جزيرة هيدرا وتجريد حملة برية على شمال المورة .

وبينما هو كذلك إذا باثنتى عشرة سفينة من قطع الأسطول الانجليزى تحضر فى يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٨٢٧ تعقبها سبع سفن من وحدات الأسطول الفرنسى فى يوم ٢١ منه ثم تلحق بها ثمانى سفن من

الأسطول الروسى فى أوائل شهر أكتوبر ويطلب قوادها المتحالفون من ابراهيم باشا وقف حركات القتال براً وبحراً طبقاً لأحكام معاهدة لندرة . ولما كانت العلاقات بين تركيا والحلفاء لم تزل حتى ذلك الحين ودية فى الظاهر — وإن توترت فى الباطن — فقد تعهد ابراهيم باشا ببقاء أسطوله فى نافارين الى أن ترد له تعليمات من والده محمد على باشا ومن الباب العالى فى هذا الشأن .

ولئن قطع ابراهيم باشا على نفسه هذا العهد إلا أنه لما رأى الأميرال كوشرين (Cochrane) والجنرال شورش(Church)البريطانيين قدجمعا قواتهما للزحف بهما على باتراس اعتبر ابراهيم أن نصوص الهدنة قد نقضت من جانب الحلفاء وأنه أصبح فى حل من عهده فأبحر فى يوم أول اكتوبر سنة ١٨٢٧ على رأس أربع عشرة سفينة ومعه طاهر باشا ومحرم بك وولى وجهته فى اتجاه باتراس . غير أن الأميرال الانجليزى كودرنجتون (Codrington) اقتفى أثر هذا الأسطول وأرغمه على العودة الى مرساه بنافارين حيث وصل فى يوم ٧ اكتوبر سنة ١٨٢٧ .

ولم تمض إلا أيام معدودات حتى تلقى ابراهيم باشا من محمد على باشا رسالة ينبئه فيها بأنه عرض الأمر على الباب العالى وأنه سيوافيه بتعليماته النهائية فى هذا الصدد عندورود رد الدولة العلية على أنه يوصيه بالتزام خطة السلم وتجنب الاصطدام مع الدول أو التحرش بقوتها حتى ولو طلب اليه الباب العالى غير ذلك .

وفى منتصف اكتوبر سنة ١٨٢٧ غادر ابراهيم باشا نافارين وزحف على رأس جزء من جيشه داخل المورة لانجاد الحاميات المصرية التى كانت قد

استهدفت لهجوم الثوار اليونانيين ولم يفت ابراهيم قبل سفره توصية محرم بك قائد الأسطول المصرى وطاهر باشا قائد الاسطول العثمانى بعدم التحرش بالاساطيل المتحالفة وعدم الخروج ازاءها عن قواعد المودة والمجاملة لأن العلاقات بين الحلفاء وتركيا ومصر لم تزل قائمة ولم تعلن الحرب بعد بين الفريقين .

وفى يوم ١٨ اكتوبر أرسل الحلفاء انذاراً على يد رسول أرسلوه الى نافارين لابلاغ ابراهيم باشا بأنه وقد نقض أحكام الهدنة يعتبر مسئولاً عن هذا العمل وعن عواقبه الخطيرة . غير أن الرسول وصل بعد قيام ابراهيم باشا فعاد بالرسالة الى الأميرال كودرنجتون (Codrington) قائد الاسطول الانجليزى الذى بادر إلى استدعاء زميليه الاميرال دى رينى (De Rigny) قائد الاسطول الفرنسى والاميرال هيدن (Hayden) قائد الاسطول الروسى . فاجتمع قواد الحلفاء وتداولوا فى الامر فاستقرّ رأيهم على الدخول بأساطيلهم ميناء نافارين لاجبار ابراهيم باشا على تنفيذ مطالبهم . وفى منتصف الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ أصدر الاميرال كودرنجتون القائد العام للاساطيل المتحالفة أمره بالتأهب للقتال وعند تمام الساعة الثانية اقتحمت سفن الدول بوغاز نافارين .

وكانت السفن المصرية والتركية راسية داخل ذلك الميناء على ثلاثة صفوف شبه متوازية كل صف فى شكل نصف دائرة يمتد طرفاها من نافارين الجديدة الواقعة على عين البوغاز إلى جزيرة اسفاختريا ووقفت البوارج والفرقاطات فى الصف الأول والقراويت فى الصف الثانى والأباريق وغيرها من السفن فى الصف الثالث .

ولما رأى محرم بك اقتحام البوغاز على هذه الصورة المثيرة بادر الى انفاذ رسول إلى البارجة الانجليزية « آسيا » يطلب إلى الأميرال كودرنجتون أن يعدل عن الرسو بأساطيله فى نافارين فأجابه القائد البريطانى بأنه لم يأت ليتلقى منه أمراً بل حضر ليملى عليه أوامره .

وواصلت سفن الحلفاء سيرها وأخذت مكانها فى الميناء فاصطفت تقريباً على شكل نصف دائرة فى مواجهة السفن المصرية والتركية واقتربت منها حتى صار بعضها على مرمى المسدس منها ووقفت البارجة الانجليزية « دارتموث » على رأس الصف لتعطل عمل الحراقات المصرية الراسية عند مدخل الثغر .

وعلى أثر رصاصة طائشة انطلقت من إحدى السفن بدأ القتال فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر وأطلقت السفن مدافعها وتجاوب الأسطولان الضرب واستعرت نار الحرب والهيجاء فانقلب المرفأ بركاناً من الجحيم واجتمعت بين جوانبه أسباب الهلاك والدمار وصمت الآذان من قصف آلاف المدافع ومن دوى انفجار السفن وغشيت ميدان القتال طبقات من الدخان المتكاثف تتخللها النيران المشتعلة ولم تعد السفن تميز بعضها بعضاً إلا على ضوء اللهب الذى كان يتصاعد بين آونة وأخرى من المراكب المشتعلة واشتركت مدافع القلاع والبطاريات المقامة فى طرف جزيرة اسفاختريا فى القاء قنابلها واستمر القتال على هذا المنوال حتى الساعة الخامسة مساء وانتهت الواقعة بالقضاء على العمارة المصرية والتركية اذ هلك معظمها نسفاً أو غرقاً فى حين جنحت البقية الباقية على السواحل فأسرع بحارتها الى إحراقها حتى لا تقع فى ايدى الأعداء وبلغ عدد قتلى المصريين

والأتراك ثلاثة آلاف وخسائر الحلفاء ١٤٠ قتيلاً و ٣٠٠ جريحاً .

وبعد أن وضعت المعركة أوزارها أقلع الأميرال كودرنجتون قائد الاسطول الانجليزى إلى مياه الاسكندرية وأنذر بتخريب المدينة إذا لم يبادر محمد على باشا باستدعاء قواته من المورة فاضطر الوالى الى الاذعان وعقد مع الحلفاء اتفاقاً فى أول أغسطس سنة ١٨٢٨ تعهد فيه باخلاء شبه جزيرة المورة . وتنفيذاً لهذا الاتفاق أقلعت السفن بقيادة محرم بك وعادت بالجنود المصريين الى مصر فى الثامن من اكتوبر سنة ١٨٢٨ .

ولما عاد محرم بك الى مصر استبقاه محمد على باشا فى وظيفته الأولى محافظاً للاسكندرية . وانفرد بهذا المنصب وعكف بمعاونة الجنرال ليتلييه (Le Tellier) والطبيب جردل وبعض القناصل على توجة لوائح الكورنتينات التى كانت تقضى بانشاء محال بالقرب من الميناء الشرقية الجديدة وبالقرب من طابية الفنار .

وقد ظلّ محرم بك يشغل هذا المنصب إلى أن لبى نداء ربه فتوفى فى الاسكندرية فى العشرين من ديسمبر سنة ١٨٤٧ (١٢ المحرم سنة ١٢٦٤) ودفن بمقابر الاسرة المالكة فى النبي دانيال . فأسف الناس أسفاً شديداً لجميل سيرته وحبه للخير إذ كان جواداً أعتق كثيراً من مماليكه وأحسن اليهم بالعطايا الجزيلة وباسمه سمى حىّ محرم بك بالاسكندرية .

وقد قال فيه الأميرال دوران فييل :

" Moharrem bey, gendre du Pacha, était un peu seigneur turc de la vieille école, Kapoudji bachi, c'est-à-dire chambellan, et gouverneur d'Alexandrie, plein de dignités dans ses manières, il s'acquitta avec convenance de son rôle de représentation, mais ne se mêla jamais des détails du

service. Les évènements, d'ailleurs, le maintinrent éloigné d'Alexandrie, et sur place, en Morée, il ne s'avisa jamais d'exercer une action personnelle : Ibrahim ne l'aurait pas permis ! A son retour, en 1829, il reçut le gouvernement du Hedjaz et des villes saintes : c'était une récompense méritée et une retraite honorable. " (١)

وتعريبه :

« كان محرم بك صهر الباشا من سراة العهد القديم الأتراك الذين حافظوا على مذاهبهم ومبادئهم القديمة وكان « قبوجي باشي » أي أميناً من الأمناء كما كان محافظاً للاسكندرية وكان ذا هيبة ووقار ويؤدي مهام منصبه بكفاءة ولا يشغل نفسه بسفاسف الأمور. ومع ذلك فان الحوادث أبقته بعيداً عن الاسكندرية حتى أنه وهو في بلاد المورة لم يشغل نفسه بأي عمل شخصي من تلقاء نفسه ولا سيما ان ابراهيم لم يكن ليسمح له بذلك. وعند عودته إلى مصر في سنة ١٨٢٩ أسندت اليه ولاية الحجاز والحرمين الشريفين فكانت مكافأة له استحقها وتقاعداً شريفاً. » (٢)

---

(١) Vice – Amiral Durand–Viel : "*Les Campagnes navales de Mohammed Aly et d'Ibrahim*", T.I. p.431.

(٢) المراجع — الامير عمر طوسون : « صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي » . الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك : « تاريخ الحركة القومية ، عصر محمد علي » . امين سامي باشا : « تقويم النيل وعصر محمد علي ». الاميرال دوران فييل : « حملات محمد علي وابراهيم البحرية ».

(٣)

عثمان نور الدين باشا

ولد عثمان نور الدين بجزيرة « مدلى » (Mitylène) حوالى سنة ١٧٩٤ ثم رحل مع أسرته إلى مصر حيث استقر به النوى ودخل أبوه فى خدمة محمد على باشا الذى عينه فراشاً أو سقاء فى أحد قصوره فعرف الابن باسم « عثمان سقه باشى زاده » أى عثمان ابن الباش سقا .

غير أنه سرعان ما أبصر الوالى فى عثمان دهاء وذكاء نادرين فأرسله على نفقته الخاصة فى سنة ١٨٠٩ — بناء على طلب المسيو يوسف بكتى (Joseph Bokty) قنصل السويد بمصر — فى بعثة علمية إلى ميلانو وبيزا وليفورن بايطاليا حيث مكث بها نحو خمس سنوات . ثم انتقل إلى باريس عاصمة فرنسا فأتمّ فى معاهدها العلوم الحربية والبحرية وتلقّى فنون السياسة وادارة الحكم ولبث بها سنتين عاد على أثرهما إلى مصر فى سنة ١٨١٧ وهو يجيد من اللغات التركية والعربية والايطالية والفرنسية ويلمّ بحظ لا بأس به من الانجليزية .

وما ان قفل عثمان راجعاً الى مصر حتى عين كاشفاً فى حرس محمد على باشا الحربى ثم عهد اليه تنظيم مكتبة قصر ابراهيم باشا ببولاق إلى أن نيط به فى خلال سنتى ١٨٢٠و١٨٢١ أمر تدريس علم الهندسة واللغة الفرنسية إلى بعض التلامذة المصريين فكان هذا نواة مدرسة بولاق أولى المدارس

النظامية التى أنشئت فى مصر فى عصر محمد على تنفيذاً لاقتراح عثمان نور الدين الذى تولى نظارتها والاشراف عليها .

وكان النشاط على أتمّه حينذاك لتكوين الجيش وتدريب الجنود على النظم الأوروبية الحديثة فقام عثمان نور الدين بترجمة المؤلفات الحربية المختلفة من اللغة الفرنسية الى اللغة التركية ، منها كتاب « القواعد البحرية » و « قانون نامة سفاين بحرية جهادية . » [١]

وفى سنة ١٨٢٣ عين عثمان نور الدين سر عسكر الجيش المصرى وأنعم عليه برتبة البكوية .

وفى سنة ١٨٢٥ ترجمت تحت إشرافه قوانين ونظم البحرية من الانجليزية الى التركية ثم عهد اليه محمد على باشا بالاشتراك مع الجنرال ليتلييه (Le Tellier) مهمة تنظيم شئون البحرية وتعليم ضباطها .

وفى السنة نفسها قام بتأسيس مدرسة قصر العينى فكان أول مدير لها ، كما أشار على محمد على باشا فى غضون هذه المدة بانشاء مدرسة أركان الحرب فلقى هذا الاقتراح هوى فى نفس الوالى ولم يمض من الوقت الا القليل حتى أسست هذه المدرسة فى قرية جهاد آباد وتولى عثمان نور الدين إدارتها .

وفى يوم ٢٥ مايو سنة ١٨٢٥ عينه محمد على باشا مير لواء ثم ولاه رياسة هيئة أركان حرب الى أن عهد اليه فى سنة ١٨٢٨ القيادة العامة للأسطول بمرتب قدره ١٨٠٫٠٠٠ قرش سنوياً أى ١٥٠ جنيهاً شهرياً [٢] فكان ثالث امراء البحار فى عصر محمد على .

---

(١) اسماعيل سرهنك باشا: « حقائق الاخبار فى معرفة دول البحار »، الجزء الثانى، ص ٤٨.

(٢) البكباشى عبد الرحمن زكى : « الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير » ص ١٨٨ .

وفى سنة ١٨٢٥ استقدم محمد على باشا الدكتور كلوت بك الفرنسى وعهد اليه فى إنشاء مدرسة الطب المصرية وكلف عثمان نورالدين الاشراف على إنشائها واليه رفع كلوت بك أول تقرير وضعه .

ولما كان عثمان نورالدين قد اتصل فى أثناء مدة تلقيه العلوم فى فرنسا بالمسيو جومار (Jomard) أحد علماء الحملة الفرنسيـة التى حضرت الى مصر بقيادة الجنرال بونابرت وتوثقت بينهما فيما بعد عرى المودة وعملا سوياً على تنمية الروابط الودية والثقافية بين مصر وفرنسا فقد اقترح عثمان على محمد على باشا فكرة ايفاد بعثة علمية كبيرة الى فرنسا وبالفعل قامت هذه البعثة من مصر فى سنة ١٨٢٦ تحت إشراف المسيو جومار نفسه.

وفى التاسع من شهر أغسطس سنة ١٨٣٠ (٢٧ صفر سنة ١٢٤٦) أصدر السلطان محمود الثانى فرماناً شاهانياً الى محمد على باشا باحالة إدارة جزيرة كريت الى عهدته مكافأة له على ما أداه للباب العالى بجيشه وأسطوله من خدمات جليلة فى سبيل قمع ثورة المورة وفتنة تلك الجزيرة بعد أن عجز السلطان عن اخمادهما منفرداً .

وفى أواخر شهر اكتوبر سـنة ١٨٣١ بدأ سير الحملة المصرية لفتح سوريا فتولى أمير البحار عثمان نورالدين قيادة القوة البحرية المؤلفـة من ثلاث وعشرين سفينة حربية وسبع عشرة سفينـة نقل فاجتمعت تلك القوة البحرية بفيالق الجيش فى ميناء حيفا التى اتخذها ابراهيم باشا قاعدة للحركات العسكرية . ثم اشترك بعض قطع الأسطول فى حصار عكا من جهة البحر فى ديسمبر سنة ١٨٣١ وأمطر المدينة وابلا من القنابل .

وكان عدد هذه السفن تسع فرقاطات وهى المسماة : « الجعفرية » —

وكانت معقودة اللواء لأمير البحار عثمان نور الدين — و « البحيرة » — وكانت معقودة اللواء لمصطفى مطوش باشا — و « كفر الشيخ» و« رشيد» و«شير جهاد »و« دمياط » و « مفتاح جهاد » و « بومبه » و« رهبر جهاد» وكانت تقل ٣٨١٠ من البحارة و ٤٨٤ من المدافع .[1]

غير أن بعض هذه السفن أصيب بعطب اضطر معه الى العودة لاصلاحه فى ترسانة الاسكندرية ولم تسلم قلعة عكا إلاَّ فى السابع عشر من مايو سـنة ١٨٣٢ على أثر رجوع جميع الواحدات المصرية وضربها الحصار ثانية من البحر .

وكان للأسطول المصرى جولات خلال الحرب السورية اذ تألفت العمارة المصرية من سبع وعشرين سفينـة حربية معقوداً لواءها لأمير البحار عثمان نور الدين فسارت تمخر العباب باحثة عن الأسطول العثمانى حتى اجتمع الأسطولان بعد واقعة بيلان فى مياه جزيرة قبرس غير أن عثمان باشا لم يسع لمهاجمة السفن العثمانية نظراً لتفوقها عدداً وعُدداً وأخذ يترقَّب حركاتها وسكناتها إلى أن سـارت الوحدات التركية الى مينـاء مرمريس من ثغور الأناضول فتعقَّبتها العمارة المصرية وحاصرت المينـاء ولكن غوائل الطبيعة حالت دون استمرار الحصار فاتجه عثمان باشا بأسطوله الى خليج السودا بجزيرة كريت ثم عاد به الى الاسكندرية .

وفى صيف عام ١٨٣٣ انتوى محمد على باشا القيام برحلة إلى جزيرة كريت فاستقلَّ فى يوم ٢٧ يوليه سـنة ١٨٣٣ السفينة المصرية « المحلة الكبرى » التى أقلعت به من ثغر الاسكندرية تحفُّ بها وتتبعها أربع

---

(١) اسماعيل سرهنك باشا : « حقائق الأخبار عن دول البحار » ، الجزء الثانى، ص ٢٤٥ .

سفن وأربع فرقاطات وثلاث قراويت بقيادة عثمان باشا نور الدين .

وممن دعى الى شرف مصاحبته فى تلك الرحلة المسيو ميمو (Mimaut) قنصل فرنسا فى مصر والكولونيل كامبل (Campbell) قنصل بريطانيا العظمى فيها والمسيو دى سيريزى بك (De Cérisy) مدير دار الصناعة (الترسانة) المصرية بالاسكندرية الذى يرجع اليه الفضل الأكبر فى بلوغ الأسطول المصرى فى عهد محمد على باشا المرتبة الثالثة بين أساطيل الدول على الرغم مما أصابه من خسارة فادحة أثر كارثة نافارين البحرية .

ولقد صادفت « المحلة الكبرى » رياح عكسية اضطرت معها الى الرسو على شواطىء الأناضول تجاه جزيرة رودس ولكن الوالى أبى أن ينزل منها الى البر على الرغم من أن محافظ الجزيرة قد خفَّ لاستقباله مقدماً اليه سلالا من الفاكهة وألوانا من المرطبات .

وفى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٣٣ — أى بعد مضى ستة عشر يوما على إبحار محمد على باشا من الاسكندرية — ألقت السفن المصرية مرساها فى مياه جزيرة كريت حيث استقبله بعض قطع الأسطولين الفرنسى والبريطانى فقدمت إليه التحية باسم قائدى القوات البحرية الفرنسية والبريطانية فى الشرق الأوسط . ثم نزل محمد على باشا الى الجزيرة وتفقَّد شئونها وتنقَّل بين مدنها وقراها من السودا (La Sude) الى ريتيمو (Retimo) الى خانيا (La Canée) وأمر بتوسيع بعض موانئها وتدعيم القاعدة البحرية المصرية فى خليج السودا .

وكان الباعث على هذه الرحلة — كما تبين فيما بعد — إنشاء دار للصناعة البحرية فى السودا لبناء السفن واعداد ميناء حربى لايواء قطع

الأسطول المصرى الذى كان يحمى جيش ابراهيم باشا وفتوحاته فى سوريا والأناضول .

وقد وفّق محمد على باشا فى اختيار هذه البقعة لقربها من غابات أطنه التى نزل له عنها السلطان محمود الثانى كرهاً ولذلك لم يكن الباب العالى ينظر بعين الارتياح والرضاء الى هذه الرحلة لما انطوت عليه من سر غامض وما حملت بين ثناياها من آثار ونتائج .

على أن شدة القيظ اللافح فى أشهر الصيف فى تلك السنة قصرت رحلة الوالى وعجلت عودته الى مصر • فقد اضطر الى مغادرة كريت فى أول سبتمبر سنة ١٨٣٣ — بعد أن أقام بين ربوعها ثمانية عشر يوما — وتولى بنفسه فى الاياب قيادة السفن فى أثناء العودة الى مقر حكمه .

ولما عاد محمد على باشا الى مصر اعتزم تجنيد أهل جزيرة كريت. ولم يكد يذاع فى أرجاء الجزيرة هذا النبأ حتى شبّت الثورة بين الكريتيين وحمل السلاح نحو ستة آلاف منهم وقصدوا الى ثكنات الحامية المصرية التى اعتصمت فى معاقلها وأرسل مصطفى باشا الأرناؤوطى حاكم الجزيرة الى محمد على باشا يبلغه تمرد السكّان تمرداً ينذر بالهرج والمرج وسوء العقبى فعهد الوالى الى قوة من الجند برياسة أمير البحار عثمان نور الدين باشا بقمع الفتنة .

غير أن عثمان باشا لجأ فى البداية الى أخذ الثوار باللين ولكنهم أصروا على موقفهم واشتبكوا مع الحامية المصرية فى قتال فرّقهم فيه نيران المدافع ووقع ثلاثون منهم فى أسر الجيش المصرى فارتأى عثمان باشا أن يعفو عنهم على أمل أن يستميل الثوار اليه ويفل من حدّتهم .

إلا أنه لما عرض على محمد على باشا هـذه الفكرة رفض الوالى هـذا الاقتراح ورفض العفو وأصدر أوامره بقتل الثائرين الأسرى . ولـكن كبر على عثمان باشا نور الدين ألاّ يؤبه لرأيه فوطّد عزمه على الاستقالة من خدمة الوالى .

وفى يوم ١٩ ديسمبر سـنة ١٨٣٣ أقلعت العمارة المصرية من خليج السودا و بعد بضعة أيام وصلت الى كريت الفرقاطة « البحيرة » قادمة من ميناء يافا مقلة ٦٠٠ جندى من آلاى المشاة الخامس لامداد حامية الجزيرة. أما عثمان باشا فكان قد برح كريت فى صباح السابع عشر من ديسمبر على ظهر إبريق صغير لجهة غير معلومة .

وفى أواخر ديسمبر عاد الأسطول المصرى الى الاسكندرية من غير قائده . وفى يوم ٢٩ ديسمبر لحق به الابريق الذى كان قـد استقله عثمان باشا بغير أمير البحار إذ كان قد ذهب الى مدلى — مسقط رأسه — وأمر السفينة بالعودة بدونه الى مصر .

وفى يوم ٢ يناير سنة ١٨٣٤ تلقّى بوغوص بك يوسف ناظر الخارجية المصرية كتاباً من عثمان نور الدين باشا هذا تعريبه :

« ياصاحب السعادة

إن إصرارى على الاستقالة الذى قضت به ضرورة قصوى سوف لا يدهش صاحب السمو ولا يدهشكم أنتم . بل بالعكس وأنتما العليمان بأسبابها كل العلم سوف تقدّران رجـلا يضحى بكل ما لديه لإنقاذ شرفه ويترك جميع مايملك لعدم الوقوع فى الذل .

« ولئن كان فى مقدور ضابط فى مصر أن يلتمس عزله من غير أن

يستهدف لعقوبة صارمة لكنت قد طلبت ذلك فى السنة الماضية وتركت آنئذ خدمة الحكومة المصرية . وأرجوكم أن تتقبلوا شكرى الخالص للخدمات التى أديتموها لى حتى الآن والتى آمل أن تواصلوا أداءها لأفراد أسرتى الذين لاعون لهم بالاسكندرية .

« وتفضلوا بقبول شعائر التبجيل والاحترام من

عثمان نور الدين »

وفى الوقت نفسه أرسل عثمان نور الدين كتاباً آخر الى محمد على باشا ضمَّنه هذا المعنى وأبدى له فيه جزيل شكره للنعم التى أولاه إيَّاها .

وقع هذا الحادث على الوالى وقعاً أليماً حتى شعر غير مرة بنوبة اختناق وضيق نفس مثلما كان يشعر بها فى ساعات الحزن الشديد . ولكنه على الرغم من هذا فانه لم يتفوَّه بكلمة جارحة واحدة فى حق عثمان باشا بل نوه بكفاءته وأبدى تأثراً ملحوظاً لابتعاده عنه وهو يكاد لا يكون لديه مال وبدون أن يتخذ أدنى احتياط أو عناية بثروته .

وبينما كان محمد على باشا يفكر فى انفاذ سكرتيره الخاص الى مدلى لحمل عثمان نور الدين على العودة إذا هو يتلقى فى العشرين من يناير سنة ١٨٣٤ نبأ وصول عثمان باشا إلى الاستانة عارضاً خدماته على السلطان .

على أن هذه الخيانة لم تحل دون استمرار محمد على باشا على إعانة أسرة عثمان نور الدين التى تخلَّفت بالقطر المصرى . وهكذا كافأ والى مصر ذلك القائد البحرى الذى انقلب عليه فى أخريات أيامه وما لبثت المنية أن عاجلته بعد قليل فتوفى فى غضون سنة ١٨٣٤ نفسها متأثراً بوباء الطاعون الذى تفشَّى فى تركيا .

وقد أصدر المؤرخون على موقف عثمان نور الدين هذا أحكاماً مختلفة :

كتب عنه الأستاذ شفيق غربال بك فقال :

«كان عثمان نور الدين من رجال العهد الأول من النهضة المصرية وكان ساعد محمد على فى الطور الأول من أطوار الاصلاح ثم شاءت الظروف أن ينسحب عثمان نور الدين من مجال الاصلاح المحمدى العلوى وأن ينضم للسلطنة العثمانية وكأنى بمحمد على وقد جرحه هذا العقوق أو هذه الخيانة فأسدل الستار على عثمان وسقط اسمه من الأفواه وأغفله المؤرخون . وحياة عثمان نور الدين ونهايته تثيران ألواناً من التفكير والأحكام فقد توزّع الرجل بين محمد على والسلطان واضطرب قلبه بين هذين العاهلين وتحكّم فى ولائه السيدان ثم اختلف كلاهما فكيف يكون حال عثمان ؟ مسألة لها فى الأدب وفى الأخلاق وفى التاريخ نظائر ولا يمكن أن يقال أن الحكم فيها نهائى . . . . »(١)

وقال عنه الاميرال دوران فييل :

“ Alors (en 1829) parut au premier rang un personnage d'une tout autre étoffe (qu'Ismaïl Djebaltar et Moharrem Bey), le produit par excellence de la transformation de l'Egypte que rêvait le Vice-Roi. Osman Noureddin, fils de Sakka Bachi, né en 1799 (٢) était un jeune mamlouk que le consul de Suède, Joseph Bokty, avait fait envoyer en 1809 en Europe, où il resta sept ans, à Milan, Pise, Livourne et Paris. Il revint en 1818 (٣) et, grâce à

(١) الاستاذ شفيق غربال بك : مقدمة كتاب الدكتور ابراهيم عبده عن «تاريخ الوقائع المصرية» .

(٢) ان تاريخ ميلاد عثمان نور الدين على وجه التحديد غير محقق . غير أنه بالاستئناس ببعض المصادر التاريخية يمكن ارجاع هذا التاريخ — على وجه التقريب — الى سنة ١٧٩٤ . أما سنة ١٧٧٩ التى يذكرها الاميرال دوران فييل فانها قطعا بعيدة عن الصواب وإلا كان عثمان نور الدين قد أرسل فى بعثة علمية الى الخارج فى سنة ١٨٠٩ وعمره دون العاشرة .

(٣) عاد عثمان نور الدين الى مصر فى سنة ١٨١٧ لا فى سنة ١٨١٨ إذ سافر فى غضون سنة ١٨٠٩ وقضى فى أوروبا سبع سنوات (على حد قول الاميرال دوران فييل نفسه) .

l'appui d'Ismaïl Djebaltâr, devint tout de suite un grand favori. Très instruit - il parlait le turc, l'arabe, l'italien, le français et un peu l'anglais - il montrait une érudition encyclopédique et un désir immodéré de l'accroître encore, tout cela gâté par un peu de verbalisme et un manque complet de caractère. Chargé de constituer une bibliothèque pour Ibrahim à Boulak, il s'y attela avec son ami Ahmed Effendi, qui fut directeur de l'instruction publique, à la traduction des ouvrages techniques européens, particulièrement de guerre et de marine. Mais alors, à la tête de l'école établie à Boulak, puis à Kasr-el-Aini pour la formation du personnel, puis directeur du collège d'Etat-Major créé à Djihad Abad par Planat, il se fit de tous ses élèves une manière de clientèle dévouée, en même temps qu'il se conciliait l'amitié de Sève, et qu'il réussissait à se créer d'utiles solidarités, jusque dans le harem. Brusquement, le 25 mai 1825, la confiance de Mohammed Aly en ses capacités extraordinaires en fit un général de brigade, puis un chef d'état-major général; enfin, elle le plaça en 1828 à la tête de la marine, en même temps qu'il recevait la tâche de pacifier la Crète.

"Osman Noureddin allait s'acquitter de ces diverses fonctions avec un rare bonheur en attendant qu'il couronnât cette éblouissante carrière par la plus laide des trahisons." (١)

وتعريب هذه الفقرات ما يأتى :

« فى ذلك الوقت (أى فى سنة ١٨٢٩) برزت فى الطليعة شخصية من معدن آخر (غير معدن اسماعيل جبل طارق ومحرم بك) هى ثمرة من ثمرات تحول مصر كما كان يُعنَى الوالى به نفسه ، ذلك هو عثمان نور الدين ابن سقه باشى . فقد ولد فى سنة ١٧٩٩ وكان مملوكا صغيراً توسّط له

(١) Vice-Amiral Durand-Viel: "*Les Campagnes navales de Mohammed Aly et d'Ibrahim*", *t. I., P. 431 et 432.*

يوسف بكتى قنصل السويد فأرسل فى سنة ١٨٠٩ الى أوربا حيث مكث سبع سنوات فى ميلانو وبيزا وليفورن وباريس . ثم عاد فى سنة ١٨١٨ وسرعان ما أصبح من المحظوظين الملحوظين بفضل معاضدة اسماعيل جبل طارق . وكان عثمان على جانب وافر من العلم إذ كان يتكلم من اللغات التركية والعربية والايطالية والفرنسية وقليلا من الانجليزية كما كان واسع المعارف وذا رغبة ملحّة فى الاستزادة منها . ولكن الى جانب هـذه الخلال قد أفسده ميله الى الثروة وحاجة قصوى إلى خلق قويم . ولما عهدت إليه مهمة تكوين مكتبة ابراهيم باشا فى بولاق عكف مع صديقه أحمد أفندى ـ الذى صار فيما بعد ناظراً للمعارف العمومية ـ على ترجمة المؤلفات العلمية الأوروبية وعلى الأخص المؤلفات الخاصة بالجيش والبحرية ، ولما تولى إدارة المدرسة التى تأسست فى بولاق ثم فى قصر العينى لتهذيب وتدريب المستخدمين وصار مديراً لكلية أركان حرب الجيش التى أنشأها بلانات فى جهاد آباد استطاع عثمان نور الدين أن يستميل تلامذته ويستأثر بهم ويضمن أخلاصهم له كما خطب ود الكولونيل سيف وتمكن من ربط صلات حسنة حتى فى داخل الحرم . وفجأة فى الخامس والعشرين من مايو سنة ١٨٢٥ تجلت ثقة محمد على بكفاءته الخارقة للعادة فعينه مير لواء ثم رئيس عام أركان حرب الجيش الى أن نصبه فى سنة ١٨٢٨ على رأس البحرية وعهد اليه إخضاع جزيرة كريت .

وقد شغل عثمان نور الدين تلك المناصب المختلفة بمقدرة فائقة إلى أن ختم حياته الباهرة بأقبح الخيانات » .

وفى أول يناير سنة ١٨٣٤ كتب المسيو دى سيريزى (De Cérisy) يقول :

"Je crois que depuis longtemps ce projet était dans sa tête. Il y a deux ans, n'ayant pas attaqué et détruit la flotte turque, Ibrahim Pacha avait demandé à son père une punition exemplaire. On en a retardé l'exécution, mais rien n'était oublié. Dernièrement, il fut envoyé à Adana où Ibrahim le reçut fort mal; enfin, il y a deux mois Osman reçut l'ordre de partir avec sa flotte pour aller apaiser les troubles de la Crète... On pendit sans jugement un grand nombre d'individus... Ces évènements chagrinèrent tant Osman Pacha que, sans doute, il conçut le projet de s'évader... Avant de quitter la flotte, Osman pacha avait fait changer une valeur d'environ 65.000 francs de monnaie turque..."

وتعريبه :

« إنى أعتقد أن فكرة الاستقالة كانت مختمرة فى رأس عثمان نورالدين منذ زمن بعيد. فانه لما أحجم عثمان نور الدين عن مهاجمة الأسطول التركى منذ سنتين ولم يدمّره طلب ابراهيم باشا من والده أن يعاقبه عقاباً صارماً . غير أنه وإن تأجل تنفيذ العقاب فانه بقى فى الذاكرة . وأخيراً أرسل عثمان باشا إلى أطنه حيث قابله ابراهيم مقابلة فاترة . ومنذ شهرين صدر إلى عثمان أمر بالاقلاع بأسطوله لاخماد ثورة كريت. وقد أُعدم هناك عدد عديد من الأهالى شنقاً وبدون محاكمة . وقد تألم عثمان باشا كثيراً لهذه الحوادث حتى صحّ عزمه على الفرار . وقبل أن يودع البحرية استبدل عثمان باشا ٦٥٫٠٠٠ فرنك من العملة التركية » .

وفى أثناء حديث دار بين محمد على باشا والمسيو ميمو (Mimaut) قنصل فرنسا بمصر ذكر هذا الأخير للوالى أن تصميم أمير البحار عثمان نور الدين على الاستقالة إنما مرجعه إلى التدابير القاسية التى اضطر

إلى اتخاذها مكرهاً ضد الأهالى فى جزيرة كريت . غير أن محمد على لفت نظره إلى أن لكل حكومة حق اخماد الفتن وتأديب الثائرين . على أنه فضلا عن هـذا فان الأوامر التى صدرت إلى عثمان باشا كانت مقصورة على معاقبة المسئولين .

ولما كان المسيو ميمو قد لاحظ أن تنفيذ عقوبة الاعدام قد حصلت أحياناً بدون محاكمة فقد ختم الوالى الحديث بقوله : « أما عن عدد الذين أعدموا فهذا خطأ منى بل هذا ذنبى أنا . . . »[1]

(١) المراجع ـ الامير عمر طوسون : « البعثات العلمية فى عهد محمد على » . والاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك : « تاريخ الحركة القومية » عصر محمد على » ص ٤٢٨ . والاستاذ جمال الدين الشيال : « عثمان نور الدين » (مقالة منشورة بمجلة « الكتاب » عدد سبتمبر سنة ١٩٤٦ ص ٣٧٢) . والاميرال دوران فييل : « حملات محمد على وابراهيم البحرية » الجزء الثانى ، ص ١٢٦ .

(٤)

مصطفى مطوش باشا

أصله من قوله حيث كان قبودانا فى المراكب الشرعية التجارية ثم دم إلى مصر واستقر بها وسرعان ما استوقفت معارفه البحرية نظر محمد لى باشا فعينه وكيلا للعمارة المصرية التى جهزها على قدم وساق لمساعدة لدولة العثمانية فى حرب اليونان فى سنة ١٨٢١ والتى كان قد وقع اختياره على اسماعيل بك جبل طارق وعلى صهره محرم بك للقيادة العامة .

ولم تمض الا بضع سنوات حتى عهد محمد على إلى مطوش بك مقاليد نظارة البحرية فأصبح « ناظراً للسفائن » . فكان ثانى نظارها بعد الحاج أحمد الذى كان قد تولى إدارتها منذ سنة ١٨٢٦ . ولما حضر فى اليوم الثالث عشر من أغسطس سنة ١٨٢٥ إلى الاسكندرية الاسطول العثمانى المكون من احدى وأربعين قطعـة تحت قيادة خسرو باشا كاف محمد على باشا مطوش أغا ناظر بحريته « بسرعة تدارك المهمات اللازمة للدونانمة الهمايونية لأجل اتمام الترميمات لها بسائر أنواعها » بالاتحاد مع ابراهيم افندى القادم مع العمارة العثمانية. وفى شهر ابريل سنة ١٨٢٧ وضع مطوش بك كشفاً دقيقاً لما استلزمته العمارة العثمانية الراسية فى الاسكندرية من ترميمات فأصدر محمد على باشا أوامره الى ناظر الترسانة لتنفيذ ما أشار اليـه مطوش بك فى تقريره وترتيب القلفطية والعمال اللازمين لذلك .

وفيما بين يومى ٢٣ يوليه و ٥ أغسطس سنة ١٨٢٧ خرجت من ثغر الاسكندرية قوة بحرية مصرية مؤلفة من احدى وثلاثين قطعة من بينها أربع فرقاطات وعشرة قراويت وستة أباريق وخمس شوانى وست حراقات بقيادة محرم بك الذى عقد لواءه على الفرقاطة « الجهادية » فى حين تولى كل من القبودانين مصطفى مطوش وحسن الاسكندرانى قيادة احدى هذه السفن. وقد انضمَّت الى تلك القوة البحرية بعض الوحدات العثمانية بقيادة القبودان حسين بك مؤلفة من عشرين وحدة من بينها سفينتان وخمس فرقاطات وتسعة قراويت وكذلك ثلاث فرقاطات وابريق واحد من تونس. وسارت فى اثر الحملة خمس وعشرين نقالة وخمس سفن نمساوية مستأجرة وثمانى قطع من الحجم الصغير. فبلغ مجموع هذه القوات تسعاً وثمانين قطعة أبحر على ظهرها ٤٫٦٠٠ مقاتل قاصدين شبه جزيرة المورة لامداد جيش ابراهيم باشا هنالك.

وفى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٢٧ رست العمارة المصرية بميناء نافرين وانضمت الى أسطول تركى آخر مؤلف من اثنتين وثلاثين قطعة حضرت من الاستانة بقيادة أمير البحار طاهر باشا وقد تولى ابراهيم باشا القيادة العامة للقوات البرية والبحرية وأخذ يتأهب لتجهيز حملة بحرية الى جزيرة هيدرا التى كانت أهم معقل للثورة اليونانية وتجريد حملة برية الى شمال المورة.

وبينما هو يعد عدته لذلك اذا اثنتا عشرة سفينة انجليزية تفاجئه فى الثانى عشر من سبتمبر سنة ١٨٢٧ تعقبها سبع سفن فرنسية فى الحادى والعشرين منه ثم تشفعها ثمانى سفن روسية فى أوائل شهر اكتوبر ويتفق ربابنتها الثلاثة على مطالبة ابراهيم باشا بوقف حركات القتال براً وبحراً

طبقاً لنصوص معاهدة لندرة . ولم ير ابراهيم باشا مفراً من التعهد بيقاء أسطوله فى ميناء نافرين حتى ورود تعليمات محمد على باشا فى هذا الصدد .

ولئن قطع ابراهيم باشا على نفسه هذا العهد إلاَّ أنه لما رأى الاميرال كوشرين والجنرال شورش البريطانيين قد جمعا قواتهما للزحف بهما على باتراس اعتبر ابراهيم نصوص الهدنة قد نقضت من جانب الحلفاء وانه أصبح فى حلّ من عهده فأبحر فى يوم أول اكتوبر سنة ١٨٢٧ على رأس أربع عشرة سفينة واتجه إلى باتراس .غير ان الأميرال الانجليزى كودرنجتون سار فى أعقابه وأرغمه على العودة إلى مرساه بنافرين .

ولم تمض إلا أيام معدودات حتى تلقى ابراهيم من والده رسالة ينبئه فيها بأنه عرض الأمر على البـاب العالى وأنه سيوافيه بتعليماته النهائية فى هذا الشأن على ضوء ما سيتضمنه رد الدولة العليـة . على أنه يوصيه بالتزام خطة السلم وتجنب الاصطدام مع الدول أو التحرش بقواتها .

وفى منتصف شهر اكتوبر سنة ١٨٢٧ غادر ابراهيم باشا نافرين وزحف على رأس جزء من جيشه داخل بلاد المورة لانجاد الحاميات المصرية التى كانت قد استهدفت لهجوم الثوار اليونانيين. وما أن قام ابراهيم حتى هبط نافرين رسول للحلفاء حاملا انذاراً يتضمن ابلاغ القائد المصرى بأنه وقد نقض أحكام الهدنة يعتبر مسئولا عن هذا العمل وعن عواقبه الخطيرة. ولما لم يجد الرسول ابراهيم باشا فى نافرين عاد بالرسالة الى الأميرال كودرنجتون قائد الاسطول البريطانى الذى بادر الى دعوة زميليه الاميرال دى رينى قائد الأسطول الفرنسى والأميرال هايدن قائد الاسطول الروسى فتداول ثلاثتهم فى الأمر واستقرَّ رأيهم على الدخول بأساطيلهم ميناء

نافرين لاجبار ابراهيم باشا على تنفيـذ مطالبهم . وما ان انتصفت الساعة الثانية بعد ظهر العشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٢٧ حتى أصدر الاميرال كودرنجتون بصفته القائد العام للأساطيل المتحالفة أوامره بالتأهب للقتال، وعند تمام الساعة الثانية اقتحمت سفن الدول بوغاز نافرين .

واصلت سفن الحلفاء سيرها واتخذت مكانها فى الميناء فاصطفت على شكل نصف دائرة فى مواجهة السفن المصرية والتركية واقتربت منها حتى صار بعضها على مرمى مسدس منها ووقفت إحدى البوارج الانجليزية على رأس الصف لتعطل عمل الحراقات المصرية الراسية عند مدخل الثغر .

وعلى أثر رصاصة طائشة انطلقت من إحدى السفن بدأ القتال فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر فأطلقت السفن قنابل مدافعها وتجاوب الفريقان الضرب واستعرت نار الحرب واجتمعت بين جوانب هذه البقعة النائية أسباب الهلاك والدمار وغشيت الميدان طبقات من الدخان المتكاثف تتخللها لهب النيران المشتعلة . واستمرّ القتال على هذا المنوال حتى الساعة الخامسة مساء وانتهت الملحمة بالقضاء علي العمارتين المصرية والتركية إذ هلك معظمها نسفاً أو غرقاً أو حرقاً فى حين جنحت البقيـة الباقية على السواحل وبلغ عدد القتـلى من مصريين وأتراك ثلاثة آلاف فى حين اقتصرت خسائر الحلفاء على ١٤٠ قتيلاً و ٣٠٠ جريح .

وبعد وقوع كارثة نافرين عهد محمد على باشا الى مصطفى مطوش باعادة تنظيم المدرسة البحرية غداة حادثة حسن بك القبرسلي . وتفصيل هذا الحادث ان القبودان حسن القبرسلى الذى كان مديراً للمدرسة البحرية — وكان مقرها احدى البواخر الراسية فى ميناء الاسكندرية — كان

بطبعه رجعياً يتمرّد على كل شيء عصرى حديث وينعى على كل العلوم الحديثة ويقول إنها مخترعات شيطانية . واتفق أن وقعت مشادة عنيفة فى هذا الصدد بينه وبين عثمان نورالدين فاغتاظ القبرسلى من توبيخ وجهه اليه نورالدين وعزم على الانتقام منه . فانتهز فرصة عطلة يوم الجمعة — الموافق ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٢٧ — ونزل الى قاع السفينة المدرسية وأطلق رصاص مسدسه على البراميل المملوءة بالبارود فانفجرت الفرقاطة ونسف هو معها .

وبعد أربع سنوات عين مصطفى مطوش بك على رأس العمارة المصرية التى أرسلها محمد على باشا فى شهر نوفبر سنة ١٨٣١ لحصار عكا ودك حصونها من جهة البحر برفقة عثمان نور الدين باشا والمسيو هوسار (Houssart) .

وفى أواخر شهر يونيه سنة ١٨٣٢ أنعم محمد على باشا على مصطفى مطوش برتبة المير لواء وأصدر بهذه المناسبة إلى كتخدا بك كتاباً بتاريخ ٢٦ يونيه سنة ١٨٣٢ يوصيه بصنع « نيشان مرصع على هيئة رسم وابور بحرى وكسوة تشريفة » .

وفى شهر مارس سنة ١٨٣٤ عين مصطفى مطوش «سرعسكر الدونانمة المصرية» فى المنصب الذى شغر باستقالة عثمان نور الدين وحدد مرتبه بـ ١٥٠٫٠٠٠ قرش سنوياً أى ١٢٥ جنيهاً شهرياً[1] وأنعم عليه فى الوقت نفسه بالباشوية فكان بذلك رابع أمراء البحار فى عصر محمد على باشا ، كما جعل المسيو بيسون بك (Besson) الفرنسى وكيلا له واختير مصطفى بك الكريدلى فى وظيفة « رياله » أى كونتر أميرال ورقى المسيو هوسار

(١) البكباشى عبد الرحمن زكى : « الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير » ص ١٨٨ .

إلى درجة قائمقام والمسيو توزيه (Touzé) رئيس أركان حرب الأسطول.

وفى غضون تلك السنة زار الماريشال مارمون (Marmont) فرقاطة مصطفى مطوش باشا قائد الدونانمة المصرية وقال عن وصف هذه الزيارة :

« استقبلنى مطوش باشا بالتعظيم المعتاد وعلى قصف المدافع فوق ظهر فرقاطته «عكا» التى كان يركبها وكان يصحبنى الأميرال بيسون وقد تفقدت السفينة وأمعنت النظر فيها بعناية خاصة فلم أر إلا ما يستوجب الاعجاب بنظامها وترتيبها. وهذه السفينة كغيرها من السفن الكبرى من المنشآت البديعة التى أخرجتها ترسانة الاسكندرية وقد اشتركت فى الحرب مرتين على ظهر البحر »[1] .

وفى أواخر فبراير سنة ١٨٣٥ أقلع مطوش باشا من الاسكندرية على رأس سبع سفن وثلاث فرقاطات وقرويت واحد وثلاثة أباريق عليها ٨٫٠٠٠ بحار الى جزيرة كريت حيث ألقت المراكب مرساها فى ميناء السودا . وفى أوائل ابريل لحقت بوحدات الأسطول هناك فرقاطتان كان قد أبحر على إحداها — وهى المسماة «البحيرة» — الأمير محمد سعيد بك (نجل محمد على باشا) الذى كان يستكمل وقتئذ علومه البحرية . وقد أخذت قطع الأسطول تقوم برحلات على شواطىء آسيا الصغرى وعلى سواحل سوريا حتى عادت الى قاعدتها بالاسكندرية فى الثانى عشر من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٥ .

وفى اليوم التالى حضر محمد على باشا إلى مرسى الأسطول وصعد إلى السفينة التى كان مطوش باشا قد عقد على ساريتها لواءه وقضى أربعة أيام

---

(١) « رحلة الماريشال مارمون » ، الجزء الثالث ، ص ١٧٣ .

فى عرض مختلف الوحدات البحرية منصتا بنوع خاص لتقارير المدرس الفرنسى كونج (Kœnig) عن تدريب ابنه الأمير سعيد بك ومدى تقدمه .
وعلى أثر هذه الزيارة الكريمة أبدى الوالى ارتياحه السامى فأجزل بالعطاء على البحارة وخصّ الضباط بالترقيات .

ومما يدل على ما كان يكنه الوالى من التقدير والثقة بقائده البحرى الأول وناظر بحريته تلك الرسالة التى أرسلها اليه فى غضون سنة ١٨٣٥ والتى جاء فيها أنه « قد علم من أخبار قنصل الانجليز حضور دونانمة الانجليز إلى مورة لالباس قرل[1] الأروام التاج ومن هناك إلى الاسكندرية وحيث من الضرورى مروره بنفسه بالسفن المذكورة ومقابلة أميرالها فيشير بوجوده هو أيضاً مع سائر الضباط البحرية المصرية للنزول بالدونانمة المذكورة ورؤية انتظامها كى بعد الوقوف على كلياتها وجزئيات ما بها من الآلات والأدوات وغيرها من الانتظام ونحوه يجرى ما يكون ناقصاً عنها بمراكب مصر ومن ذلك فائدة عظيمة ويؤكد عليه بعدم ضياع هذه الفرصة النادرة التى لا توجد فى كل حين وبالاجراء على وجه ما تقدم » .

وفى شهر ابريل سنة ١٨٣٦ وضع مصطفى مطوش باشا تصميما هندسيا لديوان الترسانة الجديد وعرض الرسومات على محمد على باشا فوافق عليها وأصدر أوامره للبدء فى التنفيذ كما أنه وافق فى شهر نوفمبر سنة ١٨٣٦ على اقتراح مطوش باشا بتنسيق نياشين البحرية المصنوعة من الذهب والفضة حتى تفى بالغرض المطلوب منها وتشمل الألف وسبع

(١) وكلمة « قرل » معناها باللغة التركية « ملك » . وملك اليونان فى تلك السنة كان اوتون الاول (Othon Ier) ابن ملك بافاريا لويس الاول . وقد استوى على عرش اليونان فى سنة ١٨٣٢ وخلع منه فى سنة ١٨٦٢ .

وأربعين ضابطاً ومساعداً الذين كان يضمهم الأسطول المصرى وقتئذ .

ولعل أبلغ مثل نضربه لما كان يمتاز به محمد على باشا وعهده من التوفر على العدل ونبذ كل محسوبية إنما هذه الرسالة التى أرسلها إلى مصطفى مطوش باشا فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٣٧ وفيها ذكر له « أنه اطلع على شقته المؤرخة ١٥ الجارى المرغوب بها استخراج رأيه عمن يجرى تنصيبه بدل الخواجه فرباس حكيمباشى مستشفى البحرية المستعفى من كل من الشيخ نصر والشيخ ابراهيم وصبون ساكى الحكماء وبناء عليه ولكونه علم من سياق إشعاره مساواة درجاتهم فى الامتحان والاخلاق فلأجل عدم مغدورية أحد منهم يلزم عمل قرعة بينهم وتنصيب من تصادفه » .

وفى خلال سنة ١٨٣٧ أصدر محمد على باشا إلى ناظر المدارس أوامره — بناء على طلب مطوش باشا — بطبع ألفى نسخة من كتاب « الفنون البحرية » حتى يعمّ نفعه كل من اهتم بشئون البحر .

وفى ٢٨ يونيه سنة ١٨٣٧ ركب محمد على باشا البحر إذ أبحر على السفينة « بيلان » متجهاً نحو جزيرة كريت فى حين أقلعت السفينة « حمص » بنجله ابرهيم باشا فى اليوم الثالث من شهر يوليه قاصدة ميناء بيروت . وبعد رحلة استغرقت ستة عشر يوماً وصل الوالى الى كانديا ونزل إليها فى يوم ١٨ أغسطس . وفى اليوم السابق على مغادرته — أى فى يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٨٣٧ — قدمت الى كريت سفينتان وأربع فرقاطات وقرويتان وأبريقان بقيادة مطوش باشا وأقلع مجموعها فى اليوم التالى نحو السودا . وقد تنقّل محمد على باشا فى ربوع جزيرة كريت الى أن عاد بمفرده الى الاسكندرية فى اليوم الثالث من سبتمبر ولم تصل الوحدات

الأخرى إلا فى الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٧ .

وفى غضون سنة ١٨٣٨ عقد أمير البحار مطوش باشا لواءه على السفينة « عكا » ثم على السفينة « بيلان » ابتداء من يوم ٢٤ أغسطس . وفى منتصف شهر سبتمبر قدم محمد على باشا الى الجهة الراسية فيها قطع الأسطول وعرض مختلف وحداتها قبل سفره الى الوجه القبلى وزيارته للسودان ولسنار .

ولعل آخر رحلة قام بها محمد على باشا مع مطوش باشا تلك الرحلة القصيرة التى لم تتجاوز الثلاثة أيام — من ١٧ الى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٤٢ — ولم تنقض عليها إلا بضعة شهور حتى لاقى مصطفى مطوش باشا وجه ربه فى غضون سنة ١٨٤٣ بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال فى خدمة البحرية المصرية التى أدار دفتها تسع سنوات كاملات ودفن فى الاسكندرية فى ضريح بالقرب من مسجد أبى العباس المرسى .

وقد وصفه الأميرال دوران فييل فى تلك الكلمة الوجيزة البليغة :

"Motouch ne fut pas indigne de sa fortune et son nom mérite d'être conservé." (١)

وتعريبها :

« كان مطوش حقيقاً بما بلغه من عالى المناصب وذكراه جديرة بأن تسجل فى القلوب على مر الزمان (٢) » .

---

(١) Vice-Amiral Durand-Viel : "*Les Campagnes navales de Mohammed Aly et d'Ibrahim,*" t. I, p. 464.

(٢) المراجع :

الامير عمر طوسون : « صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على » . وأمين سامى باشا : « تقويم النيل وعصر محمد على » . والاميرال دوران فييل : « حملات محمد على وابراهيم البحرية » .

(٥)

الأمير محمد ســـعيد باشا

هو ابن محمد على باشا الكبير من زوجته « عين الحياة قادن »[1] ورابع ولاة مصر من الأسرة العلوية وخامس أمراء البحار فى الأسطول المصرى فى ذلك العهد الزاهر . ولد بالقاهرة يوم الأحـد ١٧ مارس سـنة ١٨٢٢ (٢٣ جمادى الثانى سنة ١٢٣٧) ونشأ فى حجر أبيه الذى كان يعزه ويعنى بتربيته وتثقيفه فأدخله فى البحرية المصرية . وعلى أثر وفاة بيسون بك (Besson) استقدم محمد على باشا من فرنسا المسيو هوسار بك (Houssart) لتعليم ابنه الأمير محمد سعيد الفنون البحرية حتى إذا ما أحرز منها نصيباً وافراً انتظم فى خـدمة الأسطول وعينه والده قبوداناً برتبة صاغ قول أغاسى على القرويت المسمى « دمنهور » . وفى أواخر سـنة ١٨٣٣ أبحر مع حسن باشا الاسكندرانى وبعض وحدات الأسطول لتفقد شواطىء سوريا .

وفى يوم ٤ نوفبر سنة ١٨٣٤ (٢ رجب سنة ١٢٥٠) عين محمد على باشا ابنه الأمير محمد سعيد بك معاوناً لمصطفى مطوش باشا سر عسكر الدوناغة وناظر البحرية المصرية وقتئذ وأصدر اليه أمراً أشار له فيه « بأنه حال وجوده بالدوناغة يلزم الامتثال لأوامر مطوش باشا وعدم جلوسه إلا بأمره

---

(١) توفيت « عين الحياة قادن » بالاسكندرية فى سنة ١٨٤٩ ودفنت بمقابر الأسرة المالكة بالنبى دانيال .

الأمير محمد سعيد
وهو طالب فى البحرية المصرية

وإجراء التعظيمات اللازمة إلى سر عسكر المشار اليه وقت المرور عليه رعاية لمنصبه كما هو مأموله فيه وأن من البديهى حصول تعظيم سعادته من الباشا المشار اليه حال وجودهما خارج الدونانمة حتى بذلك ينال شرف الملك وتحصيل المعارف والآداب » .

وقد حددت أوامر أخرى مرتب الأمير سعيد بك الشهرى بمائة قرش «أسوة بسائر المساعدين بالدونانمة بناء على استئذان مطوش باشا ناظر البحرية وصرف ذلك المرتب على حساب السفينة الموجود بها » .

غير أنه يبدو أن الوالى لاحظ فى التسعة شهور الأولى التى قضاها ابنه فى البحرية نتائج غير مرضية دعته فى الثانى والعشرين من شهر يوليه سنة ١٨٣٥ (٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٥٢) إلى اصدار أمر له هذا نصه :

« صار مسموعي عدم التفاتك للدروس وميلك للراحة والرقاد ومعاشرة القبودانات القدم الذين لايدرون شيئاً من الآداب وترك مجالسة من تكتسب منه مسلك الانسانية على أننا سبق نبهنا عليك بدوام الانتباه للدروس والسير بالمشي والحركة لعدم حصول السمن واللازم عليك الائتلاف بمن لهم معرفة بالأصول الجديدة العارفين بالحالة والوقت والاهتمام فى تعلم تلك الأصول منهم حتى لايقال أن محمد على سيء الخلق وأن هذا السير ليس سير الآدمية فلا تغير نشأتك الأصلية كما سبق النصح لك وتعظيم كبرائك والتزام التواضع مصداقاً للحكم والأحاديث وتسعى فيما يكون به علو شأنك وبمنه تعالى سأحضر للاسكندرية لامتحانك أمام أحد المدرسين فاذا ظهر عدم الالتفات للدروس وعدم إزالة ثقل جسمك فرحمة بحالك أجرى تأديبك . بناء عليه يلزم

أن تترك تلك الأدوار والسير على مقتضى هـذا على الدوام على الحركة واتعاب جسمك وعـدم الاجتماع على عادمى الأدب والاقتداء بسير فارس افندى المدرّس والتطبع بأخلاقه لاتصافه بحسنها وعـدم تناول الطعام معه لاستنكافه بدعة استعمال الشوكة والسكين لأنه صوفى . فيلزم الاصغاء لهذه النصائح وترك ما أنت عليـه والميل والرغبة إلى التواضع لتكون مقبولاً عند والدك وعند الناس فضلا عن علو شأنك »[1] .

وفى ٢٤ ابريل سنة ١٨٣٧ (١٧ المحرم سـنة ١٢٥٣) أصدر محمد على باشا أمراً إلى الأمير سعيد قال له فيه « ان من محبتى الأبوية ومودتى نحوك قد عينت لك أساتذة للتدريس لك ولمعرفتى دوام تشويقك لتحصيـل المعارف ولمجرد سماعى بزيادة تفوق ومهارة المدعو قيوده الرسام فى الرسم وعلمى الحساب والهندسة قد حررت إلى مختار بك (هو مصطفى مختار بك مدير المدارس) لارساله لطرفك فعند وصوله يلزم المبادرة بالسعى فى تحصيل الدروس كما ينبغى لتكون من ذوى المعارف إذ بالسعى والاجتهاد تنال السعادة والعز ومطلوبى بذل مجهودك فى تحصيل رضاء والدك »[2] .

وفى سنة ١٨٤٠ جعل محمد على باشا فى معية ابنه المسيو كونج (Kœnig) واليوزباشية عرفان قبودان (عرفان باشا) وذوالفقار قبودان (وهو ذو الفقار باشا الذى صار فيما بعد ناظراً للخارجيـة) وسرهنك قبودان (والد اسماعيل سرهنك باشا) بوظيفة مفردات .

ولما توفى مصطفى مطوش باشا القائد العام للقوات البحرية فى سنة

---

(١) امين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على باشا » ، الجزء الثانى ، ص ٤٤٠ .

(٢) امين سامى باشا : « تقويم النيل وعصر محمد على باشا » ، الجزء الثانى ، ص ٤٨٤ .

١٨٤٣ نصب محمد على باشا مكانه ولده الأمير محمد سعيد باشا فكان أمير البحار الخامس فى عصر أبيه الكبير بعد اسماعيل جبل طارق ومحرم بك وعثمان نور الدين باشا ومصطفى مطوش باشا وأصبح سر عسكراً عاماً الدونانمة المصرية وسواريا للغليون المسمى « بنى سويف » وصار هوسار بك أميرالاى ثانياً ومعه اليوزباشى منوبلى مترجماً له . (١)

وكانت لسعيد باشا زوجتان هما :

— « أنجى هانم » وهى صاحبة وقف مشهور « بأبعادية دمنهور » مساحته ٨٧٠ر٤ فداناً شرطت صرف ريعه على عتقائها وخدمتها وأغواتها وعتقاء زوجها . وقد توفيت فى الاسكندرية فى ٥ سبتمبر سنة ١٨٩٠ عن غير عقب ودفنت بمقابر الأسرة المالكة بالنبى دانيال .

— « وملك بر هانم » ولها وقف بمديرية البحيرة مساحته ٣٩٠ر٢ فداناً وقد توفيت فى شهر اكتوبر سنة ١٨٩٠ ودفنت بالنبى دانيال . وقد رزق منها سعيد باشا ولدين هما : « الأمير محمود » الذى توفى فى سنة ١٨٤٦ ، و« الأمير محمد طوسون » الذى ولد فى سنة ١٨٥٣ وتوفى فى ١٠ يوليه سنة ١٨٧٦ وهو والد الأمير « محمد جميل طوسون » و « الأميرة عصمت » من زوجته الاولى الأميرة فاطمة اسماعيل ،و« الأمير محمد سعيد طوسون » من زوجته الثانية هيجار قادن،و « الامير عمر طوسون » من زوجته الثالثة بهشات هور هانم.و « الأميرة امينة انجى طوسون » من زوجته الرابعة تيفر هانم .

---

(١) اسماعيل سرهنك باشا : « حقائق الاخبار عن دول البحار » ، الجزء الثانى ، ص ٢٤١ . والامير عمر طوسون : « صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على » ، ص ١٣٦ .

ولما اغتيل عباس الأول فى قصره ببنها فى ليلة ١٤ يوليه سنة ١٨٥٤ أرادت جماعة من أنصاره وعلى رأسهم ابراهيم باشا الألفى أن يولوا من بعده نجله ابراهيم الهامى باشا الذى كان وقتئذ بأوروبا فاتفقوا على استدعائه وعلى اقصاء محمد سعيد باشا الذى كان مقيما بقصره بالقبارى بالاسكندرية فكتبوا سراً الى اسماعيل سليم باشا محافظ الاسكندرية وابلغوه بما اتفقوا عليه وطلبوا اليه القيام بتصريف الشئون العامة فى الثغر حتى يحضر الهامى باشا من الخارج. غير ان سليم باشا لم يشاطرهم هذا الرأى وكان يرى ان سعيد باشا أحق بالولاية طبقاً لنظام توارث العرش فقصد من فوره اليه وأنهى اليه فحوى الرسالة التى وردت اليه فشكره سعيد باشا على اخلاصه واستصحبه الى قصر رأس التين حيث أعلن على الملأ اعتلاءه على العرش وأجريت حفلة الجلوس وأطلقت المدافع. ثم سافر سعيد باشا الى القاهرة يحيط به أمراء الأسره العلوية فلما وصل اليها ذهب إلى القلعة وتولى زمام الحكم فى يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٥٤ (١٩ شوال سنة ١٢٧٠).

وما أن استوى سعيد باشا على عرش مصر حتى نهضت البلاد وأدرك الاصلاح مختلف شئون الدولة.

فبالنسبة إلى الملكية العقارية أول ما اتجه إليه فكر الوالى اصدار أمر فى سنة ١٨٥٤ فرض فيه على أصحاب الأبعاديات والشفالك وكافة الأراضى التى لم تكن تدفع مالا أن يؤدوا عشر حاصلاتها عينا ثم أمر بوجوب تحصيل «العشور» أيضا من جميع الأطيان والأواسى فعرفت هذه الأراضى «بالعشورية». على أن أعظم مأثرة لسعيد باشا إنما وضعه لائحة الأطيان المشهورة باسم «اللائحة السعيدية» التى صدرت بموجب أمر عال

الأمير محمد سعيد
وهو أمير البحار فى الأسطول المصرى

تاريخه ٥ أغسطس سنة ١٨٥٨ خوّل الفلاحين حق الملكية العقارية للأراضى الزراعية بعد أن كان الفلاح محروماً من هذا الحق فى العهود السابقة وألغى نظام احتكار الحاصلات الزراعية وخفف عن كاهل الأهالى عبء الضرائب وألغى ضريبة الدخولية وتجاوز عن ٨٠٠ر٠٠٠ جنيه مما تأخر عليهم ورغب اليهم سداد الضريبة نقداً لاعيناً وقام باعادة مساحة بعض أطيان القطر المصرى .

وبالنسبة إلى أعمال العمران عهد سعيد باشا الى ١١٥ر٠٠٠ عامل مهمة تطهير ترعة المحمودية التى لم تطهر منذ انشائها فى عهد محمد على باشا كما أتم الخط الحديدى من كفر الزيات إلى القاهرة وأنشأ خطوطاً تلغرافية فيما بين العاصمة والاسكندرية والسويس وبدأ توسيع ميناء السويس وأنشأ حوضاً جافاً لاصلاح السفن .

وبمقتضى عقد مؤرخ فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ منح سعيد باشا المسيو فرديناند دى ليسبس امتياز شركة عامة لحفر قناة السويس واستثمارها لمدة ٩٩ سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة . وقد نصّ على شروط الامتياز فى عقد لاحق تاريخه ٥ يناير سنة ١٨٥٦ فتألفت الشركة فى سنة ١٨٥٨ وبدىء فى حفر القناة فى الخامس والعشرين من ابريل سنة ١٨٥٩ .

وبالنسبة إلى الشئون المالية عقد سعيد باشا فى سنة ١٨٦٢ أول قرض من البيوت الأجنبية ومقداره الأسمى ٣ر٢٤٢ر٨٠٠ جنيه انجليزى من بنك «فروهلنج وجوشن» بلندن بفائدة ٧ ٪ فى حين أن قيمته الحقيقية ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه أى بخسارة ٨٠٠ر٠٠٠ جنيه من رأس المال وتعهدت مصر بوفاء هذا الدين على ثلاثين سنة وقد حددت قيمة القسط السنوى من

رأس مال وفوائد بـ ٠٠٠ر٢٦٤ جنيه أى ان مجموع الأقساط بلغ ٠٠٠ر٩٢٠ر٧ جنيه فى حين أن أصل الدين ٠٠٠ر٤٠٠ر٢ وفيما عدا هذا القرض الثابت استدان سعيد باشا ديونا سائرة (سندات على الخزانة) بلغ مجموعها عند وفاته ٠٠٠ر٨٦٨ر٧ جنيه.

وبالنسبة إلى العلوم عهد سعيد باشا الى ماريت باشا جمع الآثار المصرية فى مخازن أعدت لها فى بولاق وكاف محمود باشا الفلكى السفر الى دنقلة لرصد كشوف الشمس بها. فقام بهذه المهمة وحقق اثنين واربعين موقعاً من المواقع الفلكية بين أسوان ودنقلة ووضع بعد عودته خريطة مفصلة للقطر المصرى.

أما التعليم فقد أصابه شيء من الاضطراب وعدم الاستقرار اذ:

— ألغى «ديوان المدارس».

— وفى سنة ١٨٥٤ ألغيت «مدرسة المهندسخانة» ببولاق وأعيد فتحها فى سنة ١٨٥٨ وتحولت الى «مدرسة حربية» نقلت الى القلعة السعيدية بالقناطر الخيرية.

— وأقفلت «مدرسة الطب» بقصر العيني ثم أعيد فتحها فى سنة ١٨٥٦ وأنشئت بها «مدرسة للقابلات».

— وفى سنة ١٨٥٥ الغيت «مدرسة المفروزة».

— غير انه أنشئت «مدرسة أركان حرب» بالقلعة ومنحت بعض المدارس الأجنبية — فرنسية وامريكية وايطالية — اعانات لمساعدتها على فتح معاهدها ونشر ثقافتها فى حين فترت حركة البعثات العلمية فلم يرسل إلى أوروبا سوى اربعة عشر طالباً.

وبالنسبة الى الشئون الحربية قرر الوالى قصر مدة الخدمة العسكرية على سنة واحدة وجعلها فى الوقت نفسه اجبارية للجميع حتى بلغ عدد رجال الجيش فى سنة ١٨٦٠ اربعاً وستين الف جندى كما عنى بترقية حال الجنود والترفيه عليهم من جهة الغـذاء والمسكن والملبس وحسن المعاملة وانشأ « القلعة السعيدية » بالقناطر الخيرية لصد هجمات الأعداء عن القاهرة .

أما البحرية فقد أهمل سعيد باشا شأن أسطولها الحربى اذ أصدر اليه الباب العالى أمراً — بناء على طلب انجلترا والحاح سفيرها فى الاستانة على السلطان — بالكف عن اصلاح سفن الاسطول وانشاء سفن جديدة الا بأمره . ولما رأى سعيد باشا أن معظم السفن الراسية أمام دار الصناعة بالاسكندرية لا تصلح للقتال الا بعد تصليح وترميم وانها اذا أهملت أصابها التلف أمر بتكسيرها وباع أخشابها وسرح معظم ضباطها . على أن اهتمام الوالى انصرف الى الملاحة التجارية الداخليـة والخارجية فأنشأ شركتين للملاحة أحداهما نيلية أسست فى سنة ١٨٥٤ وسميت « الشركة المصرية للملاحة التجارية » غرضها نقل الحاصلات والمسافرين بطريق النيل على مراكبها والأخرى بحرية أسست فى سـنة ١٨٥٧ وسميت « القومبانية المجيـدية » لتسيير البواخر فى البحرين الأبيض والأحمر .

وقد اشتركت مصر فى عهد سعيد باشا فى حربين : حرب القرم (من سنة ١٨٥٤ الى سنة ١٨٥٦) وحرب المكسيك (من سـنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٧) .

فقد واصل سعيد باشا حرب القرم التى بدأت فى عهد سلفه عباس الأول وأرسل النجدات الى الجيش المصرى المرابط فيها حتى بلغ عدده ٣٠٫٠٠٠

مقاتل . وقد عانى المصريون هنالك فى خلال شتاء عامى ١٨٥٤ و ١٨٥٥ الشدائد والأهوال من شدة البرد القارس ولقى الكثيرون منهم حتفهم في ميادين القتال أو من فتك الأوبئة والأمراض التى تفشّت بينهم . وقد دافعوا دفاعاً مجيداً عن ايباتوريا (Eupatoria) وهو ثغر من ثغور شبه جزيرة القرم احتله الحلفاء لمهاجمة مواقع الروس الحصينة وقد استشهد فيه سليم باشا فتحى القائد العام للجيش المصرى كما استشهد حسن باشا الاسكندرانى القائد العام للاسطول المصرى ومحمد شَنَن بك من قواد البحرية المصرية فى يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٨٥٤ اذ هبّت رياح عاصفة على سفينتيهما فى عرض البحر الاسود وتكاثر عليهما الضباب عند مدخل بوغاز البوسفور مما أدى الى اصطدام الغليون « مفتاح جهاد » الذى كان يقل حسن الاسكندرانى باشا بالفرقاطة المصرية « البحيرة » التى كان يقودها محمد شنن بك فغرق فى أقل من ساعة الف وتسعمائة وعشرون مقاتلا كانوا على ظهريهما ولم ينج سوى مائة وثلاثون جندياً . وقد انتهت حرب القرم بفوز تركيا وحلفائها — فرنسا وانجلترا ومملكة بيمونت ومصر — على الروس وأبرم الصلح فى مؤتمر باريس فى ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وقد سلمت فيه روسيا بمطالب الفائزين [١].

أما حرب المكسيك فلها قصة . ذلك أن أهل المكسيك كانوا قد

---

(١) الامير عمر طوسون : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » .
Aimé Vingtrinier : "*Soliman Pacha*", P. 572. Merruau : "*L'Egypte contemporaine*", P. 42. L. Thouvenel : "*Trois années de la Question d'Orient, La guerre de Crimée*; Jules Ladmir : "*La guerre en Orient et dans la Baltique*" (1853-1856); Nasmith : "*History of the war in Russia and Turkey*". Slade : "*Turkey and the Crimean War*".

أساءوا معاملة الأجانب الفرنسيين والأسبانيين والانجليز وكانوا ينتهزون فرصة قيام أقل شغب فى البلاد لنهب أموالهم وسلب بضائعهم . فلما كثرت الشكوى اتفقت فرنسا وانجلترا وأسبانيا على أن تشترك معا فى محاربة المكسيك وأمضى سفراؤهم فى لندرة اتفاقاً فى اكتوبر سنة ١٨٦١ على القيام بعمل مشترك . وفى ديسمبر سنة ١٨٦١ احتلت أسبانيا مدينة فيرا كروز وتولت انجلترا مراقبة شواطيء المكسيك بأسطول قوى فى حين أرسل نابليون الثالث امبراطور فرنسا الأميرال جورين على رأس ثلاثمائة مقاتل لمحاربة أهل تلك البلاد . الا أن رئيس جمهورية المكسيك جوارز (Juarez) تمكن بدهائه السياسى من الاتفاق مع الأسبانيين والانجليز حتى تخلّوا عن حليفتهم فرنسا . فاضطرت فرنسا وقد انفردت بالحرب ضد المكسيكيين الى ارسال نجدات جديدة الى تلك البلاد . غير أن الأمراض فشت بين الفرنسيين وفتكت بهم فتكاً ذريعاً ولا سيما أن الفرنسيين لم يتحملوا حر بلاد المكسيك وتقلب الطقس فمات منهم عدد كبير . فكر نابليون الثالث فى أن يستعين بالجنود المصريين الذين اعتادوا حر مصر والسودان فطلب من سعيد باشا — وكان صديقاً حميما له — أن يمده بالجند فلبي سعيد باشا الطلب وأرسل اليه الكتيبة السودانية — وكانت مؤلفة من ١٢٠٠ جندى — فأبحرت من الاسكندرية فى ٢٣ فبراير سنة ١٨٦٣ وأبلت هنالك بلاء حسناً حتى قال عنها قائد الجيش الفرنسى : « أن هؤلاء ليسوا جنوداً بل هم أسود » . وعاد ماتبقى منهم — وعددهم ٣٠٠ مقاتل — الى مصر فى شهر مايو سنة ١٨٦٧ بعد أن انتصر الثوار المكسيكيون واعدموا الامبراطور

مكسمليان رمياً بالرصاص وهو الذى فرضه عليهم نابليون الثالث فاضطر الفرنسيون الى الجلاء عن البلاد وهكذا اشتركت مصر فى قتال لم يكن للمصريين ولا للسودانيين فيه ناقة ولا جمل ![1]

أما نظام الحكم المصرى فى عهد سعيد باشا فقد ظل حكما مطلقاً يتولاه الوالى إذ كان يجمع فى يده السلطات الثلاث: التنفيذية والقضائية والتشريعية .

أما بالنسبة الى السلطة التنفيذية فقد بقى « المجلس الخصوصى » قائماً بنظر المسائل العامة للحكومة وسن اللوائح والقوانين وترتيب النظم العمومية وتنصيب رؤساء المصالح . وفى سنة ١٨٥٧ أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فجعل منها أربع وزارات هى :

* وزارة الداخلية وقد عهد بها الى الأمير أحمد رفعت .
* ووزارة المالية وقد أسندت الى الأمير مصطفى فاضل .
* ووزارة الحربية وقد تولاها الأمير محمد عبد الحليم .
* ووزارة الخارجية وقد تقلدها أسطفان بك .

أما السلطة القضائية فقد وزع اختصاصها على « مجلس الأحكام » الذى كان بمثابة هيئة استئنافية عليا و « والمحاكم الشرعية » و « مجالس الأقاليم » التى أنشئت للفصل فى المسائل المدنية والتجارية و « مجالس التجار » ثم « قومسيون مصر » الذى أنشىء للفصل فى قضايا الأجانب

(١) اسماعيل سرهنك باشا : « حقائق الاخبار عن دول البحار » ، الجزء الثانى ، ص٢٧٦ . والامير عمر طوسون : «بطولة الاورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك » . وعزيز خانكى بك : « نفحات تاريخية» ص ١٢٠ . والبحث المنشور فى La Revue d'Egypte سنة ١٨٩٤ ص ١٠٤ .
Egon César Comte Corti : "*Maximilien et Charlotte du Mexique*".
Emile Ollivier : "*L'Expédition du Mexique*".

وكانت تستأنف أحكامه أمام «مجلس الاحكام» . على أن أهم اصلاح قضائى تم في عهد سعيد باشا أنه نال من السلطان حق اختيار القضاة بعد ان كان العمل جاريا على أن «قاضى القضاة» الذى يوليه الباب العالى هو الذى يختار القضاة وهو الذى يعينهم .

وأما بالنسبة إلى السلطة التشريعية فكان «المجلس الخصوصى» و«مجلس الاحكام» - وكانا بمثابة الهيئتين التشريعيتين فى البلاد - يشتركان فى وضع اللوائح وسن القوانين . على أن سعيد باشا غضب فى سنة ١٨٥٥ على «مجلس الاحكام» فأمر بالغائه ثم أعاد تأليفه فى سنة ١٨٥٦ وأسند رياسته الى اسماعيل باشا ثم عاد وأمر بالغائه فى سنة ١٨٦٠ كما ألغى أيضاً «مجالس الاقاليم» . غير أنه عاد فى سنة ١٨٦١ وأعاد «مجلس الاحكام» وعين محمد شريف باشا رئيساً له كما أعاد «مجالس الأقاليم» .

وقد قام سعيد باشا إبَّان حكمه بأربعة أسفار : فى السودان فى أوائل سنة ١٨٥٧ ؛ وفى سوريا فى خلال سنة ١٨٥٩ ، وفى الحجاز فى أوائل سنة ١٨٦١، وفى أوروبا فى غضون سنة ١٨٦٢ .

— ففى أوائل سنة ١٨٥٧ زار سعيد باشا السودان ووصل إلى الخرطوم فى ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ وتفقد شئون هذا القطر ووقف على أحواله واستمع الى شكايات سكَّانه . فأعفى الأهالى مما تأخر عليهم من الأموال وخفض الضرائب المفروضة عليهم ووضع قاعدة ثابتة لتقدير قيمتها وقرر عزل الموظفين الترك الذين كانوا موضع شكوى الأهالى لسوء معاملتهم لهم . وأنشأ محطات فى صحراء «كروسكو» لتسهيل نقل البريد والمسافرين بين مصر والسودان . وأنشأ نقطاً عسكرية لمنع تجارة الرقيق ومطاردة

النخاسين . وعضد الرحلات والكشوف الجغرافية فى أنحاء السودان .

— وفى سنة ١٨٥٩ زار الوالى سوريا وأناب عنه فى مصر مدة غيابه ابن أخيه اسماعيل باشا .

— وفى أوائل سنة ١٨٦١ قصد سعيد باشا إلى الحجاز تحيط به حاشية عسكرية مكوّنة من ألفى رجل . وقد بدأ رحلته فى ٢٣ يناير سنة ١٨٦١ ووصل الى المدينة المنورة فى ١٢ فبراير وغادرها فى يوم ١٧ منه وسار إلى ينبع ومنها استقل الباخرة « نجد » إلى السويس فبلغها فى يوم ٢٨ فبراير. ولعل الغرض من تلك الرحلة انتحال عذر لعدم اجابة السلطان إلى استدعائه إياه إلى الاستانة !

— وفى غضون سنة ١٨٦٢ سافر الوالى إلى أوروبا ليستشفى من مرض عضال أصابه ولم ينجع فيه دواء . غير انه عاد إلى الاسكندرية فى أواخر سنة ١٨٦٢ والداء قد استعصى علاجه فما زال يشتد به ويهد من قواه حتى أدركته المنية وتوفى وهو فى الثغر فى صبيحة الثامن عشر من يناير سنة ١٨٦٣ (٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ) .

فمات رابع ولاة مصر من الأسرة العلوية وله من العمر اثنان واربعون عاماً بعد أن تربع فى دست الحكم ثمانى سنوات وستة أشهر وخمسة أيام ودفن بالاسكندرية بالصالة الكبرى بمسجد النبى دانيال[1] .

---

(١) المراجع الاجنبية — Merruau : A. Vingtrinier : "*Soliman Pacha*". "*L'Egypte contemporaine*". Merruau : "*L'Egypte sous le règne de Saïd Pacha*" (Revue des Deux Mondes du 15 Septembre 1857). Abbate : "*Voyage de Mohamed Saïd Pacha dans ses provinces du Soudan*". Delatre : "*L'Egypte en 1858*" (Revue d'Orient, d'Algérie et des Colonies, t. VIII et IX. Barthélemy Saint-Hilaire : "*Lettres sur l'Egypte*". Edmond About : "*Le Fellah*".

المصادر المصرية — الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك : « عصر اسماعيل » الجزء الاول ، ص ٢٣ — ٧١ اسماعيل سرهنك باشا : « حقائق الاخبار عن دول البحار » ، الجزء الثانى . فتحى زغلول باشا : « كتاب المحاماة » . أحمد عرابى باشا : « كشف الستار عن سر الاسرار . »

(٦)

حسن الاسكندرانى باشا

فى غضون سنة ١٧٩٠ ولد للامام حسن رئيس قبيلة الشرويشيين بجهة أبخاسيا من أعمال بلاد الشراكسة الشمالية ولد أسماه « زكريا » كان ثالث أنجاله وآخرهم . شبَّ الطفل وترعرع على ساحل البحر الاسود ثم صحَّ عزم أبيه على تأدية فريضة الحج وعقدت نيته على ارسال نجله إلى مصر ليتلقى علومه بالأزهر فينشأ إماماً مثله . فغادر الأب بلاده مع ابنه الأصغر حوالى سنة ١٨٠٠ ولما يتجاوز زكريا بعد العاشرة من عمره . فركبا البحر ليلا وأقلع بهما أحد المراكب الشراعيـة إلى الاستانة فى طريقهما إلى مصر حيث انتوى الامام ترك ابنه — فى أثناء غيابه بالحجاز — عند أحد أصدقائه ومواطنيـه المماليك الذين كانت تربطه بهم صلات وثيقة ومودة قديمة .

وبالفعل ارتحل الامام حسن قاصداً بيت الله الحرام وسلَّم طفله فى القاهرة إلى أحد السلحدارية الشراكسة من ذوى قرباه إلى حين عودته . غير أن المنية عاجلته وهو فى طريقه من مكة إلى المدينة فأصبح زكريا يتيما فى قطر غريب وعند غير أهله وعشيرته .

إلا أن السلحدار أنزله فى بيتـه منزلة أبنائه فعاش زكريا فى رعايته وتعلم عليه صناعة الأسلحة . وقد حدث بعد ردح من الزمان أن وجَّه محمد على باشا والى مصر عنايته إلى تجهيز حملة عسكرية لاخماد ثورة الوهابيين

فى جزيرة العرب فوصّى السلحدار فى منتصف عام ١٨١١ بصنع كمية من الأسلحة . ولما تمّ اعدادها حملها السلحدار بصحبة زكريا إلى قصر الازبكية حيث قابلهما محمد على باشا . وماكاد نظر الوالى يقع على هذا الشاب اليافع وسَمِعه يصغى إلى قصته حتى أعجبته فيه جراءة أعماله وصدق طويته فشمله بعطفه واستخدمه فى ديوانه . فنبذ زكريا اسمه القديم وآثر أن يخلع على نفسه اسم أبيه حسن .

كانت مصر فى ذلك العهد قد هبّت على بكرة أبيها تلبي نداء الوالى للانتظام فى الجيش فبادر حسن إلى الانخراط فى صفوفه . غير أنه لما سافر فى أوائل شهر سبتمبر سـنة ١٨١١ فى معيـّة محمد على باشا إلى السويس وشاهد فيها نواة الأسطول المصرى مبحراً من ثغره لنقل الرجال والعتاد الى جزيرة العرب أدرك حسن — وهو من أبناء السواحل — ان أمواج البحر تناديه فوطّن نفسه على الدخول فى البحرية !

ولـكن آماله لم يبد له تحققها إلا بعد ست سنوات !

ففى خلال سنة ١٨١٧ [1] أوفد محمد على باشا فى بعثة علمية إلى فرنسا

---

(١) نقل الامير عمر طوسون فى مؤلفه « البعثات العلميـة فى عهد محمد على » ص ٣٧ وكذلك الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فى الجزء الثالث من كتابه « تاريخ الحركة القومية — عصر محمد على » ص ٤٥٧ عن المسيو جومار (Jomard) فى الرسالة التى نشرها بالمجلة الاسيوية (La Revue asiatique) عدد اغسطس سنة ١٨٢٨ ، ص١٠٩ ، أسماء أعضاء البعثة التى أرسلها محمد على باشا الى فرنسا فى شهر يوليه سنة١٨٢٦ فذكرا ضمن الطلبة الذين تخصصوا فى الملاحة والفنون البحرية : حسن الاسكندرانى ومحمد شنن ومحمود نامى ، غير أن الواقع ان حسن الاسكندرانى وزميليه سافروا الى تولون فى سنة ١٨١٧ (لا فى سنة ١٨٢٦) وعادوا من فرنسا فى أوائل سنة ١٨٢٠ (لا فى سنة ١٨٣١) بدليل ان حسن الاسكندرانى اشترك فى موقعة نافارين فى يوم ٢٠ اكتوبر سـنة ١٨٢٧ وكان يقود الفرقاطة « احسانية » التى غرقت هناك كما اشتبك فى خلال هذه المدة مع القائد اليونانى مياوليس (Miaulis) وأسر غولتا يونانيا اقتاده الى الاسكندرية . وخلع عليه محمد على باشا فى سنتى ١٨٢٦ و ١٨٣٠ خلعتين عظيمتين تقديراً لما أداه للاسطول المصرى من جليل الخدمات. وما كان شىء من ذلك ممكنا لو كان الاسكندرانى فى هذا الوقت يتلقى الدروس فى معاهد فرنسا !

حسناً (الذى لقب بالاسكندرانى) ومحمد شنن ومحمود نامى بعمية المسيو دروفيتى (Drovetti) قنصل فرنسا بمصر وتحت إشرافه [١] . وما أن قضى الطلبة المصريون عامين كاملين فى الدرس والتحصيل لاتقان اللغة الفرنسية حتى آثر ثلاثتهم التخصص فى العلوم البحرية فانخرطوا فى الكلية البحرية الفرنسية بتولون [٢] . وقد كان طلبة البحرية المصريون — وعلى الأخص حسن الاسكندرانى — طوال مدة اقامتهم فى تولون موضع عناية خاصة من المسيو دوبيريه [٣] (Duperré) مما كان له أحسن الوقع عند محمد على باشا فحفظ له الجميل ولم ينسه على مر الأيام . تذكر هذه اللفتة الكريمة فى سنة ١٨٤١ — أى بعد أربع وعشرين سنة — فأقام مساء يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٤١ فى قصره مأدبة عشاء بمناسبة سفر المسيو كوشليه (Cochelet) قنصل فرنسا دعى اليها معه خلفه المسيو دى روهان شابو (De Rohan Chabot) وقائد السفينتين الفرنسيتين الراسيتين وقتئذ فى ميناء الاسكندرية « اشيرون » (*L'Acheron*) و « انبوسكاد » (*L'Embuscade*) . وقد تبسط محمد على باشا فى الحديث مع مدعويه فى أثناء تناول العشاء وأثنى الثناء المستطاب على الأميرال دوبيريه الذى كان وقتئذ وزير

(١) لا تحت اشراف المسيو جومار (Jomard) الذى عهدت اليه بعثة سنة ١٨٢٦ .

(٢) لا فى ميناء برست (Brest) كما ذكر الامير عمر طوسون .

(٣) كان المسيو فيكتورجى دوبيريه حاكما بحريا لميناء تولون من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨١٨ (اى عند قدوم البعثة المصرية) ثم عين أميرالا وتولى مقاليد وزارة البحرية الفرنسية فى عهد الملك لويس فيليب خمس مرات : الاولى فى وزارة الماريشال مورتييه (Mortier) من ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٤ الى ١٢ مارس سنة ١٨٣٥ ، والثانية فى وزارة خلفه الدوق دى بروى (Broglie) من ١٢ مارس سنة ١٨٣٥ الى ٥ فبراير سنة ١٨٣٦ . والثالثة فى الوزارة التالية برياسة المسيو تيير (Thiers) من ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٦ الى ٦ سبتمبر سنة ١٨٣٦ ، والرابعة فى وزارة المسيو سولت (Soult) الثانية من ١٢ مارس سنة ١٨٣٩ الى اول مارس سنة ١٨٤٠ ، والخامسة فى وزارة المسيو سولت الثالثة من ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ الى ٧ فبراير سنة ١٨٤٣ . وتوفى الاميرال دوبيريه فقيراً فى الثانى من نوفمبر سنة ١٨٤٦ ودفن بالانفاليد .

بحرية فرنسا والذى شمل بعنايته طلبة البحرية المصريين لأربع وعشرين سنة خلت .

ويقول فى هذا الصدد الأميرال دوران فييل :

" Pendant le dîner, le Vice-Roi avait longuement parlé de l'amiral Duperré, le ministre de la marine française, dans les termes les plus flatteurs, rappelant toutes les attentions qu'il avait eues autrefois pour les élèves égyptiens embarqués sur l'*Orion* et en particulier, pour Hassan bey, son ministre de la marine." (١)

وتعريبه :

« تحدث الوالى فى أثناء تناول العشاء عن الأميرال دوبيريه وزير البحرية الفرنسية حديثاً طويلا أجزل فيه الثناء عليه ذاكراً ما أبداه من مظاهر الرعاية فيما مضى من الزمان نحو الطلبة المصريين المبحرين على السفينة « أوريون » وعلى الأخص بالنسبة الى حسن بك ناظر بحريته . »

وعلى أثر تخرج الطلبة المصريين من الكلية البحرية الفرنسية قاموا بثلاث رحلات علمية على سفن فرنسية فتدربوا على قيادتها وزاروا أقطاراً وأمصاراً نائية دوّن حسن الاسكندرانى عنها « يوميات » وصف فيها بلاد البرازيل ورأس هورن بأمريكا الجنوبية وبلاد النرويج والسويد فى شمالى أوروبا فى حين تناولت ريشة محمود نامى بالرسم المناظر الرائعة التى استوقفت أنظارهم .

وقد استغرقت الرحلة الأولى ثلاثة أشهر إذ أبحر الطلبة المصريون على

---

(١) الاميرال دوران فييل : « حملات محمد على وابراهيم البحرية » ، الجزء الثانى ، ص ٢٥٦ .

ظهر الفرقاطة الفرنسية « تيميرير » (Le *Téméraire*) واجتازوا بحر الشمال وزاروا بلاد النرويج والسويد .

أما الرحلة الثانية فبدأت من ثغر تولون وشملت غربى البحر الأبيض المتوسط وسواحل اسبانيا وميناء قادش وجبل طارق وجزر أصور (Açores) .

وأما الرحلة الثالثة فقد استغرقت ثمانية عشر شهراً إذ أقلعت الفرقاطة « أوريون » (L'*Orion*) من ميناء لاروشيل (La Rochelle) وسارت بجانب شواطىء اسبانيا والبرتغال حتى لشبونة ثم مضت فى محاذاة سواحل القارة الافريقية حتى جزر الرأس الأخضر ثم عرجت على أمريكا الجنوبية فألقت مرساها فى باهية وريودى جينيرو وسان باولو وبورتو الليجرو من موانىء البرازيل وزارت مونتيفيديو وتابعت سيرها الى رأس هورن ثم عادت أدراجها إلى فرنسا .

وفى أوائل سنة ١٨٢٥ عاد حسن الاسكندرانى - برفقة زميليه - من فرنسا الى مصر وكان عمره وقتئذ خمساً وثلاثين سنة تقريباً فعين برتبة ملازم بحرى وأسندت إليه قيادة إحدى الاباريق التابعة للأسطول المصرى الثالث الذى اشترك فى خلال شهر أبريل سنة ١٨٢٥ فى معركة سبادا (Spada) البحرية . وقد تولى بعد ذلك قيادة السفن الحربية التى عهدت إليها حراسة النقالات التى كانت تحمل الجند والذخائر من القطر المصرى الى شبه جزيرة المورة لامداد الجيش المصرى بها . وقد اشتبك حسن الاسكندرانى فى أثناء تأدية هذه المهمة مع مراكب اليونانيين التى كان يقودها ميوليس (Miaulis) فأغرق منها حراقتين وأسر غولت

على مقربة من شواطىء جزيرة كريت واقتادها إلى ثغر الاسكندرية. وقد أهدى إليه محمد على باشا بهذه المناسبة داراً فى حىّ رأس التين بجهة أبو وردة بالقرب من زاوية سيدى تمراز (المعروف قديماً بمسجد البحارة) كما أهدى اليه ساعة من الذهب وشالاً من الكشمير.

وفى أوائل عام ١٨٢٦ رقى حسن الاسكندرانى من ملازم إلى يوزباشى وعهدت إليه قيادة إحدى القراويت السريعة من مصر إلى اليونان لايصال المراسلات السرية العاجلة التى كان يبعث بها محمد على باشا إلى ابنه ابراهيم باشا فى المورة. وفى خلال صيف تلك السنة عاد حسن إلى الاسكندرية مع الأسطول المصرى بقيادة قائده العام محرم بك لترميم بعض السفن واصلاحها قبل الابحار بها ثانية فى حملات أخرى مع الوحدات الجديدة التى كان قد وصّى بها الوالى فى المصانع الأوروبية ووصلت حديثاً من مرسيليا وجنوا وليفورن.

وقد عكف حسن الاسكندرانى — مع زملائه عثمان نور الدين ومحمود نامى ومحمد شنن — على ترجمة المؤلفات الفرنسية عن أصول البحرية وفنونها.

وقد اشترك حسن الاسكندرانى فى الموقعة التى دارت رحاها فى مياه نافارين (Navarin) فى العشرين من اكتوبر سنة ١٨٢٧ بين الأسطولين المصرى والعثمانى من ناحية وأساطيل انجلترا وفرنسا وروسيا المتحالفة من ناحية أخرى. وكان يتولى حسن قيادة الفرقاطة «الاحسانية» فى حين كان محرم بك قائد الأسطول المصرى قد عقد لواءه على الفرقاطة «جهادية». وقد اندلعت النار فى سفينة حسن الاسكندرانى

فى أثناء المعركة وما لبثت أن التهبت صواريها وقلاعها وسائر أجزائها حتى انفجرت واهتزت الأرجاء لدويها . وقد أبى قائدها إلا أن يشهد بنفسه ترحيل رجاله عنها مستهدفاً لأشد الأخطار حتى وقعت قنبلة بجانبه وأصابته شظاياها فى وجهه ثم تبعتها قنبلة أخرى فألقته فى البحر مغمى عليه ولولا يقظة خادمه النوبى الأمين « فرج » الذى غاص فى اليم وراءه وأسعفه على الفور لما قُدّر لحسن الاسكندرانى النجاة من هذا الحادث .

ولم تفل كارثة نافارين جهد محمد على باشا ولم تثبط من عزيمته فأخذ يبنى السفن ويصقل همم الرجال حتى تبوأ الأسطول المصرى — بعد هزيمة نافارين — المرتبة الثالثة بين أساطيل الدول .

ولما كانت مهمة إنشاء السفن من أعز أمانى محمد على باشا فقد وقع اختياره على حسن الاسكندرانى لتولى ادارة دار صناعة السفن (ترسانة) فى الاسكندرية . وقد كان حسن عند حُسن ظن الوالى به فتولى الاشراف المباشر على تجهيز الأسطول الجديد الذى أنزل إلى البحر سريعاً وتكاثرت وحداته فيه حتى حسبت له الدول ألف حساب .

غير أنه ما لبث أن عاد الاسكندرانى إلى ركوب البحر فاشترك فى ٨ ديسمبر سنة ١٨٣١ على ظهر الفرقاطة « شير جهاد » مع الأسطول المصرى بقيادة قائده العام عثمان نور الدين باشا فى دك حصن عكاء من البحر ، وأسهم فى خلال سنة ١٨٣٢ مع العمارة المصرية فى حملاتها فى جزر الارخبيل اليونانى إلى أن استدعاه محمد على باشا فى أوائل شهر اكتوبر وعهد إليه قيادة الفرقاطة رقم ٤ ، ولعلها المسماة « أبو قير » .

وقد اقترن شهر سبتمبر سنة ١٨٣٣ بانقلاب جوهرى فى حياة

حسن الاسكندرانى ، إذ استقرّ رأى محمد على باشا على تزويجه من إحدى فتيات قصره عرفت باسم « التفات بنت الغُز » . وقد كان أبوها عبدالرازق عبدالمحسن الغز من أسرة مماليك يرجع نسبهم الى قانصوه الغورى وقد لقى حتفه فى مذبحة قلعة الجبل فى أول مارس سنة ١٨١١ ، وعلى أثر وفاته استجارت زوجته وبنته — وكان عمرها يتراوح وقتئذ بين ست وسبع سنوات — بالوالى الذى فتح لهما أبواب قصره . ولم ينقض إلا القليل حتى انتقلت الأم الى رحمة الله فعهد محمد على باشا بأمر تربية البنت الى أوقماش قادن افندى التى علمتها القراءة . ولما ناهزت « التفات » الخمس والعشرين من عمرها زوّجها محمد على باشا الى حسن الاسكندرانى وكان قد جاوز الأربعين بثلاث سنوات أو أربع . وقد تمّ عقد القران فى قصر رأس التين وزفّت العروس منه الى دار الترازية فى مركبة من مركبات حرملك الوالى مما دلّ على منزلة العروسين الخاصة عند محمد على باشا .

ولم ينجب حسن الاسكندرانى إلاّ ولداً واحداً اسمه محمد عبدالمحسن غير أن هذا الأخير تزوج مرتين : الأولى بعقده على « عصمت بنت عبدالله » وقد رزق منها « على محسن » الذى توفى حوالى سنة ١٨٧٢ وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، والثانية بعقده على « جمال فير » وقد رزق منها : محمد محسن باشا (الذى تزوج مديحة هانم يكن شقيقة عدلى يكن باشا) وحسن محسن باشا (الذى تزوج الأميرة عزيزة حسن) وأحمد ابراهيم محسن باشا (الذى تزوج سنية هانم فخرى حفيدة محمود نامى زميل حسن الاسكندرانى) .

وبعد تسعة أشهر من زواجه أقلع حسن الاسكندرانى فى ٢٨ يونيه سنة ١٨٣٤ على رأس قوة بحرية الى يافا حيث عهد اليه فى حراسة الفولت

« التمساح » الذى كان يقلّ محمد على باشا فى رحلته . وبعد بضعة أشهر أخرى أبحر حسن بوحدات أسطوله لتفقد شواطىء سوريا وكان بمعيته الأمير محمد سعيد باشا ابن محمد على .

وفى غضون سنة ١٨٣٥ تولى حسن الاسكندرانى قيادة الفرقاطة رقم ٣ ، ولعلها المسماة « الاسكندرية » ، والفرقاطتين « مفتاح جهاد » و«البحيرة» والقرويتين « طنطا »و« جناح بحرى » والغولت « التمساح » والابريق «بادىء جهاد» التى عهد اليها بمهمة نقل الذخائر والمؤن من الاسكندرية الى طرسوس .

وقد استطاع حسن الاسكندرانى بما آتاه الله من مقدرة وما عمر به قلبه من ايمان صادق أن يتقرب الى محمد على باشا وينال ثقته وتقديره حتى عينه الوالى فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٣٥ نائباً لقائد الأسطول وولاه فى أواخر شهر مايو سنة ١٨٣٧ نظارة البحرية المصرية وأنعم عليه برتبة الباشوية .

ولما توفى السلطان محمود الثانى وخلفه على عرش آل عثمان ابنه السلطان عبد المجيد فى سنة ١٨٣٩ وعين خسرو باشا صدراً أعظم أقلع الأسطول العثمانى الى الشواطىء المصرية وانضمَّ الى الأسطول المصرى فوقف حسن الاسكندرانى فى ١٤ يوليه سنة ١٨٣٩ على ظهر الغليون رقم ٥ ، ولعله المسمى « مصر » ، على رأس قوة بحرية أمام ثغر الاسكندرية وتلقى من القائد العثمانى أحمد باشا فوزى استسلام وحداته التى كانت تتألف من تسعة غلايين واحدى عشرة فرقاطة وخمسة قراويت تحمل ١٠٧ ر ١٦ من الملاحين وآلايين من الجند يبلغ عددهم خمسة آلاف .

وقصَّة هذا التسليم تتلخص فى أن الأسطول التركى أقلع من بوغاز الدردنيل بقيادة القبودان احمدفوزى باشا لمنازلة العمارة المصرية عقب انتصار ابراهيم باشا في وقعة نزيب فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ وتغلغل الجيش المصرى فى آسيا الصغرى واحتلاله بيره جك — على ضفَّة نهر الفرات اليسرى — ثم عينتاب ومرعش وأورفه .

غير أن السلطان محمود الثانى توفى فى أول يوليه سنة ١٨٣٩ وخلفه على عرشه المحفوف بالصعاب نجله عبد المجيد وهو فى السابعة عشرة من عمره، فآثر — بناء على مشورة صدره الأعظم خسرو باشا — الجنوح إلى السلم وأرسل الى مصر رسولا يدعى عاكف افندى لمهادنة محمد على باشا مع تكليفه إعادة الأسطول العثمانى إلى قواعده بالاستانة .

ولما كان بين القائد البحرى احمد فوزى باشا والصدر الأعظم خسرو باشا من قديم العداء مثل ما كان بين هذا الأخير وبين محمد على باشا الذى نافسه فى ولاية مصر وأقصاه عنها بعد أن تولاها فى سنة ١٨٠٣ ، فقد ساورت الشكوك نفس القبودان العثمانى وعظمت وساوسه ورأى فى استدعائه إلى الاستانة استدراجاً لعزل محتوم أو قتل محتمل .

وبينما كان يقلِّب كفاً على كفّ ويتساءل عن مصيره اذا وكيله عثمان باشا يزيِّن له أن يلتجىء الى محمد على باشا — خصم خسرو باشا اللدود — ويقدم له العمارة التركية هدية خالصة فينال على يديه حسن الجزاء ويفلت من غياهب السجن أو من براثن الاغتيال .

لاقت هذه النصيحة قبولا حسناً لدى فوزى باشا فرسا بسفنه فى جزيرة رودس ومنها أرسل الى محمد على باشا يخبره بعزمه ثم واصل سيره الى

الاسكندرية وسلّم وحداته إلى والى مصر فى منتصف شهر يوليه سنة ١٨٣٩.

بقيت القطع البحرية العثمانية فى حوزة محمد على باشا منضمّة الى أسطوله حتى تدخلت الدول الأوروبية فى الامر فاتفقت انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا على ابرام معاهدة لندرة فى ١٥ يوليه سنة ١٨٤٠ وقد تضمّن ملحقها الزام محمد على باشا « أن يسلّم الأسطول العثمانى ببحارته ومهماته الكاملة إلى المندوب العثمانى المكلف باستلامه ويحضر رؤساء الأساطيل المتحالفة هذا التسليم » وانّه « ليس لمحمد على باشا فى أى حال من الاحوال أن يحتسب على الباب العالى ما أنفقه على الأسطول العثمانى من المصاريف طول مدة اقامته فى الموانئ المصرية ولا أن يخصم هذه المصاريف من الخراج الواجب عليه دفعه » . إلّا ان محمد على باشا رفض قبول مثل هذه المعاهدة الجائرة وملحقها إذ أنه لم يدع الى الاشتراك فى وضع نصوصهما وأعلن تمسكه بالبلاد التى فتحتها جيوشه وأقرته عليها معاهدة كوتاهية فى ٥ مايو سنة ١٨٣٣ فصمّم على عدم نزوله عن أى شبر من هذه الأراضى وأبلغ رفضه الي الصدر الأعظم الذى بادر إلى استصدار فرمان بخلع محمد على باشا من الولاية على مصر . وسرعان ماغادر ممثلو الدول الأجنبية الأراضى المصرية وأصبحت مصر بمفردها فى حالة حرب ضد تركيا وحلفائها — بعد أن سحبت فرنسا تأييدها السابق لمصر وانسحبت من الميدان على أثر سقوط وزارة المسيو تيير المؤيدة لمحمد على باشا فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ وقيام وزارة المسيو سولت التى تولى فيها المسيو جيزو وزارة الخارجية .

ضرب الأسطول البريطانى الحصار حول الامبراطورية المصرية

وأسرعت جيوش الحلفاء إلى الوقوف في وجه محمد على باشا . فلما رأى بحكمته أن لا طاقة له بمحاربة الحلفاء مجتمعين آثر أن يجنح الى السلم وقبل جلاء الجيش المصرى عن سوريا والأناضول ورد الأسطول العثمانى الى الباب العالى فى مقابل تخويله ملك مصر الوراثى بضمانة الدول . وقد أبرم اتفاق بهذا المعنى فى الاسكندرية فى ٢٧ نوفبر سنة ١٨٤٠ بين بوغوص بك يوسف ناظر الخارجية المصرية والكومودور نابيير (Napier) نائباً عن بريطانيا العظمى وتأيد هذا الاتفاق بمراسلات لاحقة تبادلها الاميرال روبرت ستوبفورد (Robert Stopford) قائد القوات البحرية البريطانية ومحمد على باشا والصدر الأعظم .

وتنفيذاً لما تم الاتفاق عليه وصل الى الاسكندرية فى العاشر من يناير سنة ١٨٤١ مظلوم بك مدير الترسانة العثمانية والفريق ياور باشا (وهو أميرال انجليزى أصل اسمه ولكر Walker عهد اليه الباب العالى بالقيادة العامة للأسطول العثماني) واحمد اغا أمير الحج . وكانت مهمة الأول تقديم رسالة سلطانية الى محمد على باشا ، ومهمة الثانى استلام الأسطول ، ومهمة الثالث الوصول الى جدّة فى بلاد العرب لتسلم المهمات .

وفى الحادى عشر من يناير سنة ١٨٤١ رفع ياور باشا علمه على السفينة العثمانية « المحمودية » وحيتها باقى قطع الاسطول التركى الراسية فى ميناء الاسكندرية .

وفى يوم ١٧ يناير وصلت الى الثغر السكندرى السفينة العثمانية « طائر بحرى » قادمة من الاستانة وعليها بعض ضباط البحرية العثمانية لتسلم وحدات أسطولهم . وبعض ظهر الثالث والعشرين من يناير

أبحر الاسطول العثمانى مع ضباطه قافلاً الى الاستانة ما عدا احمد باشا فوزى القبودان السابق وعثمان باشا وشريف اغا من كبار ضباطه اذ تخلفوا فى مصر وآثروا البقاء بالقرب من محمد على باشا لأن حكومة الاستانة اتهمتهم بالخيانة العظمى لتسليمهم الأسطول العثمانى الى والى مصر . وقد رتّب محمد على باشا لفوزى باشا مرتباً ضخماً قدروه بخمسمائة الف فرنك سنوياً كما أقطعه ألفى فدان من الأراضى الزراعية .

وهكذا بقيت الوحدات العثمانية منضمة الى الأسطول المصرى وفى خدمة محمد على باشا حولا كاملا ونصف حول ، من منتصف يوليه سنة ١٨٣٩ حتى أواخر يناير سنة ١٨٤١ .[١]

وفى شهر ابريل سنة ١٨٤٨ تولى ولاية مصر ابراهيم باشا ابن محمد على — فى حياة أبيه — ولكن المنية عاجلته فى العاشر من نوفمبر سنة ١٨٤٨ فتولى الحكم عباس باشا الاول — ابن طوسون بن محمد على — وكان محمد على باشا لا يزال على قيد الحياة وانما كان يعانى مرضا عضالا فقضى عليه فى الثانى من شهر أغسطس سنة ١٨٤٩ .

وفى عهد عباس ساءت حالة البحرية المصرية وأخذت فى الاضمحلال بعد ان كانت قوية زاهرة . ويرجع ذلك الى سببين : أولهما عام وهو اهمال الوالى شتى أعمال العمران ، وثانيهما خاص وهو كراهيته لعمه سعيد باشا الذى نشأ فى البحرية وكان قائداً عاماً للأسطول المصرى فى عهد محمد على . فحقد عباس على البحرية لحقده على سعيد فأهمل شأنها وتعطلت أعمال دار

---

(١) مؤلفنا : « الذكرى المئوية لتثبيت محمد على باشا الكبير وأسرته على عرش مصر » ص ٣ — ١٩ . والاستاذ عبدالرحمن الرافعى بك : « تاريخ الحركة القومية — عصر محمد على » ص ٣٠٧ . والاميرال دوران فييل : « حملات محمد على وابراهيم البحرية » ، الجزء الثانى ، ص ١٨٠ .

صناعة السفن ووقف اصلاح الواحدات البحرية فسرى اليها العطب وتناولها التلف .

غير أنه لما نشبت فى ٣ يوليه سنة ١٨٥٣ الحرب بين تركيا وروسيا — بحجة حماية هذه الأخيرة الكنيسة والاكليروس اليونانى فى الأراضى المقدسة — طلب السلطان عبد المجيد الى عباس الأول أن يمدّه بالجند والاساطيل وفاقاً للفرمانات الشاهانية . فلبى عباس نداءه وفتح أبواب دارالصناعة البحرية المعطلة وجهّز على وجه السرعة أسطولاً عهد بقيادته إلى حسن الاسكندرانى باشا سادس أمراء البحار .

وبموجب إرادة سنية صادرة فى أول يوليه سنة ١٨٥٣ (٢٤ رمضان سنة ١٢٦٩ هـ) تألف هذا الاسطول من اثنتى عشرة قطعة — عدا النقالات — بها ٦٤٢ مدفعاً و٦٨٥٠ جندياً بحرياً وموزعة على الوجه الآتى:

الغليون « مفتاح جهاد » وبه مائة مدفع و ١٠٤٠ جندياً بقيادة القائمقام طاهر بك .

الغليون « جهاد آباد » وبه مائة مدفع و ١٠٤٠ جندياً بقيادة القائمقام خليل بك .

الغليون « الفيوم » وبه مائة مدفع و ١٠٤٠ جندياً بقيادة القائمقام محمود بك .

الفرقاطة « رشيد » وبها ستون مدفعاً و ٦٣١ جندياً بقيادة البكباشى مرجان قبودان .

الفرقاطة « شير جهاد » وبها ستون مدفعاً و ٦٣١ جندياً بقيادة البكباشى خورشيد قبودان .

حسن الاسكندرانى باشا

الفرقاطة «دمياط» وبها ستون مدفعاً و ٦٣١ جندياً بقيادة البكباشي أحمد شاهين قبودان .

الفرقاطة «البحيرة» وبها ستون مدفعاً و ٦٣١ جندياً بقيادة البكباشي حجازى أحمد قبودان .

الفرقاطة «النيل» وبها ثلاثون مدفعاً و ٣٧١ جندياً بقيادة القائمقام عبد الحميد قبودان .

القرويت «جناح بحرى» وبه ٢٤ مدفعاً و٢١٣ جندياً بقيادة الصاغقول أغاسى زنيل قبودان .

القرويت «جهاد بيكر» وبه ٢٤ مدفعاً و٢١٣ جندياً بقيادة الصاغقول أغاسى حسن ارناؤود قبودان .

الغولت «الصاعقة» وبها ١٢ مدفعاً و ١٧٩ جندياً بقيادة الصاغقول أغاسى طاهر قبودان .

الوابور «بروانه بحرى» وبه ١٢ مدفعاً و١٧٩ جندياً بقيادة الصاغقول أغاسى صالح قبودان .

أما الجيش فقد بلغ مجموع رجاله ١٩٫٧٢٢ مقاتلاً مزودين باثنين وسبعين مدفعاً وعهد بقيادتهم الى سليم باشا فتحى أحد القواد الذين حاربوا تحت لواء ابراهيم باشا فى حروب سوريا والاناضول .

وعلى ذلك بلغ مجموع القوات البحرية والبرية ٢٦٫٥٧٢ جندياً و ٧١٤ مدفعاً .

وفى ٤ يوليه سنة ١٨٥٣ (٢٧ رمضان سنة ١٢٦٩ هـ) أصدر

عباس باشا الاول من قصر بنها إرادتين باللغة التركية إلى ابراهيم ألفى بك محافظ الاسكندرية هذا تعريب الأولى :

« حيث أن السفينة التى سيركبها سعادة حسن باشا قومندان سفن الجهادية المصرية يجب أن تكون منتظمة يقتضى تنظيم وفرش القمرات من جانب الميرى ومشترى طاقم سفرى أيضاً وتسليمه للسفينة المذكورة وقد حرر هذا للمعلومية » .(١)

وهذا تعريب الثانية :

« حيث أن الحالة تقضى بصرف ثلاثة أشهر مقدماً للضباط الذين سيسافرون بمعية سعادة حسن باشا قومندان سفن الجهادية من مساعد لغاية القائمقام تحت الحساب من ماهياتهم لأجل مشترى مايلزمهم فلدى وصول ذلك إلى علمكم بادروا باجرائه وحرر هذا للمعلومية » .(٢)

وفى التاريخ نفسه أصدر الوالى افادة باللغة التركية إلى أمير الالاى مصطفى بك المقيم بالاستانة هذا تعريبها :

« قد اقتضت إرادتنا بأن تكونوا بمعية سعادة حسن باشا المعين هذه المرة قومنداناً على السفن المصرية فلدى وصول ذلك إلى علمكم تصغون لأوامر وتنبيهات الباشا المشار اليه وتنفذونها حرفياً وتجتهدون فى عدم الانحراف عن أوامره ونواهيه وحرر ذلك للاشعار » .(٣)

وفى يوم ٥ يوليه سنة ١٨٥٣ (٢٨ رمضان سنة ١٢٦٩ هـ) أرسل

---

(١) الامير عمر طوسون : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » ص ٧٧ .

(٢) الامير عمر طوسون : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » ص ٦٦ .

(٣) الامير عمر طوسون : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » ص ٧٩ .

حسن فؤاد المناسترلى باشا[1] كتخدا الجناب الخديوى الى حسن باشا الاسكندرانى إفادة هذا نصها :

« بعد أن صار عرض ملحوظاتكم الخاصة باركاب عساكر البرية المقتضى ارسالهم إلى الاستانة العلية فى السفن التسع المعدة للقيام بعد أيام قليلة صدر النطق الكريم باركاب الأربعة الالايات المجهزة وترحيلهم حين قيام هذه السفن وبعد ختام تعمير سفن القباق يصير اركاب الالايين الباقيين وترحيلهما إلى المحل المقصود ثم التصريح أيضاً للسفن بأن ترسو ببعض الموانىء لأخذ المياه حيث لايوجد مانع من ذلك وحرر هذا للمعلومية » .[2]

وفى أواخر شهر يوليه سنة ١٨٥٣ قدم عباس باشا خصيصاً للاسكندرية لعرض قطع الأسطول ووحدات الجيش قبل إبحارها وخطب فى رجالها مشجعاً ومودعاً . وأقلعت الحملة على ظهر السفن الحربية وناقلات أخرى وألقت مرساها فى مياه الاستانة يوم الأحد ٢٠ أغسطس سنة ١٨٥٣ — أى بعد رحلة استغرقت ٢٨ يوماً — لاضطرار المراكب الى الرسو فى عدة مرافىء فى طريقها للامترار ماء والتزويد زاداً .

وقد عسكر الجنود المصريون ردحاً من الزمان على ضفاف البوسفور وزارهم السلطان عبد المجيد فى مضاربهم فى بيكوس تجاه طرابية ، وعرض فلولهم وأنعم على كل قائد من القواد بعلبة للتبغ مرصعة بالماس وأمر لكل ضابط براتب شهر .

---

(١) حسن فؤاد المناسترلى باشا هو والد ابرهيم باشا فؤاد المناسترلى من وزراء العدل السابقين وجد محمد على فؤاد المناسترلى وأمين بك فؤاد المناسترلى وزير مصر المفوض فى أنقره عاصمة تركيا .

(٢) الاميرعمر طوسون : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » ص ٩٠ .

وبعد أيام أبحر الجيش المصرى فى نقالات إلى « وارنه » (Varna) ثم مضى الى ميدان القتال على نهر الدانوب ، ورابط معظم رجاله فى مقاطعتى سلستريا (Silistrie) وأولتنتزا (Oltenitza) اللتين استهدفتا لاغارات عنيفة شنّها الروس فأبلى المصريون بلاء حسناً فى الدفاع عنهما وأقاموا حصناً منيعاً عرف « بطابية العرب » واستطاعوا فى خلال سنة ١٨٥٤ أن يقفوا الروس عند حدهم ويصدوا هجمات قائدهم الشهير المارشال باسكيفيتش (Paskiévitch) .

أما الأسطول المصرى فقد وزعت قطعه بين مختلف الوحدات البحرية العثمانية ، فانضمت الفرقاطة « دمياط » والوابور « براونه بحرى » إلى قطع القائد التركى عثمان باشا الذى عقد لواءه على السفينة العثمانية « عون الله » وأبحر على رأس قوة تألفت من ثلاث عشرة قطعة حربية عليها ٤٦٦٩ بحاراً ومزودة بـ ٤٥٦ مدفعاً الى ثغر سينوب (Sinope) الواقع على البحر الاسود .

واليك بيان هذه القوة البحرية :

السفينة « نظامية » عليها ٦٠٠ بحار وبها ٦٠ مدفعاً .

السفينة « دمياط » عليها ٥٠٠ بحار وبها ٥٦ مدفعاً .

السفينة « نافيك » عليها ٥٠٠ بحار وبها ٥٢ مدفعاً .

السفينة « نظيم » عليها ٥٠٠ بحار وبها ٥٢ مدفعاً .

السفينة « قائد » عليها ٥٠٠ بحار وبها ٥٠ مدفعاً .

السفينة « فارسلى ايلات » عليها ٤٠٠ بحار وبها ٣٨ مدفعاً .

السفينة « عون الله » عليها ٤٠٠ بحار وبها ٣٦ مدفعاً .

السفينة « جل سفيت » عليها ٢٠٠ بحار وبها ٢٤ مدفعاً .

السفينة « نجي فشير » عليها ٢٠٠ بحار وبها ٢٤ مدفعاً .

السفينة «فيضى مربوط» عليها ٢٤٠ بحاراً وبها ٢٢ مدفعاً .

السفينة « طايف » عليها ٣٠٠ بحار وبها ١٦ مدفعا .

السفينة «براونه بحرى » عليها ١٧٩ بحاراً وبها ١٢ مدفعا .

السفينة « اركلى » عليها ١٥٠ بحاراً وبها ١٢ مدفعاً .

وما ان رست هذه السفن فى ميناء سينوب حتى فاجأها فيه اسطول روسى مكون من احدى عشرة قطعة ومزود بـ ٦٣٢ مدفعاً بقيادة الاميرال ناخيموف (Nakhimoff) وما لبث ان اشتبك الاسطولان فى الثلاثين من نوفمبر سنة ١٨٥٣ فى معركة بحرية اسفرت عن انتصار اسطول الروس الذى كان يفوق خصمه عَدداً وعُددا فالحقت بالسفن العثمانية خسائر فادحة قضت على جميع وحداتها بما فيها السفينتين المصريتين ماعدا السفينة « الطائف » التى لاذت باهداب الفرار منذ بداية الملحمة .

وأما باقى الوحدات المصرية فقد انفصلت منها فى بدء الامر الفرقاطتان « رشيد » و « شير جهاد » والقرويتان « جناح بحرى » و « جهاد بيكر » والغولت « الصاعقة » وقامت بحراسة جزر الارخبيل بالاشتراك مع

العمارة التركية ، غير انها أرسلت بعد ذلك الى البحر الاسود حيث تولت نقل الجيوش من وارنه إلى شبه جزيرة القرم .

وفى يوم ٧ مايو سنة ١٨٥٤ (٩ شعبان سنة ١٢٧٠ هـ) أقلع الاسطول العثمانى تحت قيادة أمير البحار التركى احمد باشا قيصرلى والاسطول المصرى تحت إمرة أمير البحار المصرى حسن الاسكندرانى باشا من الاستانة الى البحر الاسود وانضمت وحداتهما الى أساطيل فرنسا وانجلترا ونازلت السفن الروسية فى المعارك التى دارت رحاها هنالك .

وتشاء الأقدار أن يحارب حسن الاسكندرانى أخاه اسكندر الذى كان قد بقى فى القوقاز وجُنّد فى الجيش الروسى وأن يجتمع به خلسةً ويعانقه بعد فراق جاوز نصف القرن .

وفى ليلة ١٤ يونيه سنة ١٨٥٤ أغتيل عباس الاول فى قصره ببنها وخلفه محمد سعيد باشا – ابن محمد على باشا – وعلى أثر صدور الفرمان الشاهانى بتوليته سافر سعيد باشا الى الاستانة لتقديم واجب الولاء للسلطان فحضر اليه فيها محمد شنن القائد الثانى للاسطول المصرى وقدم له باسم رجال البحر المصريين فروض التهانئ بارتقائه الاريكة المصرية . وما ان عاد سعيد باشا الى مصر حتى واصل حرب القرم وأرسل ابتداء من ١٩ اكتوبر سنة ١٨٥٤ بقيادة احمد باشا المنكلى النجدات إلى الجيش المصرى المرابط فيها حتى بلغ مجموع القوات البحرية والبرية المرسلة هناك فى عهدى عباس وسعيد ٥٠٫٦٥٧ مقاتلا و ٧٦٨ مدفعاً .

وقد عانى المصريون هنالك فى خلال شتاء عامى ١٨٥٤و١٨٥٥ الشدائد والاهوال من شدة البرد القارس ولقى الكثيرون منهم حتفهم فى ميادين

القتال أو من فتك الأوبئة والأمراض التى تفشّت بينهم . وقد دافعوا دفاعاً مجيداً عن ايباتوريا (Eupatoria) وهو ثغر من ثغور شبه جزيرة القرم احتلّه الحلفاء لمهاجمة مواقع الروس الحصينة وقد استشهد فيه سليم باشا فتحى القائد العام للجيش المصرى .

أما حسن باشا الاسكندرانى فقدأبحر فى سنة ١٨٥٤ عائداً على رأس أسطوله الى الاستانة لاصلاح بعض السفن فهبّت على سفنه فى عرض البحر الاسود عواصف هوجاء وتكاثر عليها الضباب فحال دون اجتيازها بوغاز البوسفور بسلام . وقد اشتدت العاصفة عند مدخل البوغاز على مقربة من شاطىء « الروم ايلى » فى يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٨٥٤ مما أدّى الى اصطدام الغليون « مفتاح جهاد » الذى كان يتولى الاسكندرانى قيادته بالفرقاطة « البحيرة » التى كان يقودها محمد شنن بك فغرق فى أقل من ساعة ١٩٢٠ مقاتلا كانوا على ظهريهما ولم ينج سوى ١٣٠ جنديا . وكان فى عداد الغرقى حسن الاسكندرانى ومحمد شنن قائدا الاسطول المصرى .

وقد ورد نبأ هذه الفاجعة الأليمة فى جريدة « ذى الاستريتد لندن نيوز » الانجليزية (The Illustrated London News) إذ نشرت بعددها الصادر فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٥٤ ماترجمته :

« فجع السكان القاطنون بالقرب من البحر الأسود بفاجعة تروع القلوب وهى غرق بارجتين على مسافة غير بعيدة من الاستانة . فى ليلة ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٥٤ عصفت بشواطىء هذا البحر عاصفة من أروع مايذكره الناس . ولا بد أن تكون قد وقعت حوادث أخرى مروعة

غرق فيها كثير من السفن ولكن ليس بينها ماهو أفظع من حادثة البارجتين المصريتين العائدتين من القرم. ففى الساعة الثامنة مساء حمل الإعصار الفرقاطة « البحيرة » على بعد ميلين فقط من مصب البوسفور إلى منطقة الأمواج الخطرة التى ترتطم بصخور « قره برنو » وما هى إلا ساعة من الزمان حتى تحطمت السفينة ولم ينج من بحارتها البالغ عددهم أربعمائة سوى ١٣٠ أمكنهم أن يبلغوا الشاطىء أحياء.

« أما البارجة الاخرى وهى ذات ثلاث طبقات واسمها « مفتاح جهاد » وكان على ظهرها الأميرال المصرى وهو على ما يقال أمهر قائد بحرى عند المصريين ، فقد شاركت زميلتها فى نهايتها المحزنة إذ دفعتها العاصفة إلى حيث المياه قليلة خطرة ، وذلك فى منتصف المسافة بين الاستانة وفارنه. ومن المؤلم أن نذكر أنه غرق ٧٩٥ بحاراً — من بينهم الأميرال — من بحارتها البالغ عددهم تسعمائة. ولم يبق أى أثر من هذه البارجة المنحوسة يبين المكان الذى غرقت فيه. وقد أنزل الذين نجوا من بحارة البارجتين فى الاستانة حيث كانوا موضع كثير من الالتفات والعناية. »

وقد تمكن حسن الاسكندرانى[1] قبل غرقه أن يسلم خاتمه — الذى لم يفارقه قط — إلى أحد عبيده الذين نجوا من تلك الكارثة

(١) لحسن باشا الاسكندرانى صورتان فى باريس : احداهما — وهى المنشورة فى هذا الكتاب — من ريشة الرسام لاسال (E. Lassalle) وموجودة فى دار الكتب الوطنية ، والاخرى معروضة فى المتحف الحربى بفرساى . وقد اطلق اسم حسن باشا الاسكندرانى على احد شوارع الاسكندرية فى حى كرموز .

الفادحة. وتشاء الأقدار أن يعود هذا العبد سالماً إلى مصر ويحمل الخاتم الذى أؤتمن عليه إلى زوجة سيده .

وقد انتهت حرب القرم بفوز تركيا وحلفائها - فرنسا وانجلترا ومملكة بيمونت (ايطاليا) ومصر - على الروس وأبرم الصلح فى مؤتمر باريس فى ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وقد سلمت فيه روسيا بمطالب الفائزين .

وبذا أسدل التاريخ ستاره وأرخى الزمان سدوله على آخر حملة قامت بها وحدات الاسطول الضخم الذى أنشأه محمد على باشا الكبير . (١)

---

(١) المصادر العربية :

الامير عمر طوسون : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » . والامير عمر طوسون : « صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على » . والاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك: « تاريخ الحركة القومية » .

المراجع الاجنبية :

Vice-Amiral Durand-Viel : "*Les Campagnes navales de Mohammed Aly et d'Ibrahim*". Aimé Vingtrinier: "*Soliman Pacha*" . Georges Douin : "*Les premières frégates de Mohamed Aly*". Georges Douin: "*Navarin*". L. Thouvenel : "*Trois années de la Question d'Orient, la Guerre de Crimée*". Jules Ladmir : "*La guerre en Orient et dans la Baltique*". (1853 – 1856). Durfor : "*Les Turcs et les Russes*". Nasmith : "*History of the War in Russia and Turkey*". Slade: "*Turkey and the Crimean War.*" Thomas Buzzard : "*With the Turkish Army in the Crimea and Asia Minor.*"

سفن الاسطول المصرى فى عصر محمد على باشا

نقلاً عن جدول حسن باشا الاسكندرانى (1)

سفن الغليون او القباق

العدد	الاسم	عدد البحارة	عدد المدافع	سنة نزولها الى البحر	جهة انشائها
١	المحلة الكبرى	١٠٣٤	١٠٠	١٨٣٠	الاسكندرية
٢	المنصورة	١٠٣٤	١٠٠	١٨٣٠	الاسكندرية
٣	الاسكندرية	١٠٣٤	١٠٠	١٨٣١	الاسكندرية
٤	ابو قير	٧٣٦	٩٤	١٨٣١	الاسكندرية
٥	مصر	١٠٩٧	١٠٦	١٨٣٢	الاسكندرية
٦	عكاء	١١٤٨	١٠٦	١٨٣٢	الاسكندرية
٧	حمص	١٠٣٤	١٠٠	١٨٣٣	الاسكندرية
٨	بيلان	٩٠٠	٨٦	١٨٣٤	الاسكندرية
٩	حلب	١٠٣٤	١٠٢	١٨٣٧	الاسكندرية
١٠	الفيوم	١٠٣٤	١٠٠	١٨٣٨	الاسكندرية
١١	بنى سويف	١٠٣٤	١٠٢	١٨٣٨	الاسكندرية
١٢	دمشق	—	—	—	الاسكندرية

(١) وضع حسن الاسكندرانى باشا هـذا الجدول فى سنة ١٨٤٣ أى فى عهد امارة محمد سعيد باشا البحرية المصرية وفى حال حياة أبيه محمد على باشا .

الفرقاطات

العدد	الاسم	عدد البحارة	عدد المدافع	سنة نزولها الى البحر	جهة انشائها
١٣	منوف	٥٥٨	٦٤	١٨٣٦	الاسكندرية
١٤	دمياط	٤٧٠	٥٦	١٨٢٩	الاسكندرية
١٥	رشيد	٥١٠	٦٠	١٨٢٨	تريسته
١٦	الجعفرية	—	٦٠	١٨٢٤	ليفورن
١٧	شيرجهاد	٥١٠	٦٠	١٨٢٦	ليفورن
١٨	البحيرة	٥١٠	٦٠	١٨٢٩	تريسته
١٩	النيل (فرقاطة بخارية)	٥٢	٦	١٨٣٤	انكلترا

القراويت

العدد	الاسم	عدد البحارة	عدد المدافع	سنة نزولها الى البحر	جهة انشائها
٢٠	طنطا	١٨٦	٢٨	١٨٣٠	الاسكندرية
٢١	دمنهور	١٨٦	٢٦	١٨٣٨	الاسكندرية
٢٢	واسطة جهاد	—	٢٨	١٨٢٠	جزائر الغرب
٢٣	جناح بحرى	١٨٥	٢٤	١٨٢٣	جنوه
٢٤	بلنك جهاد	١٨٥	٢٤	١٨٢٧	مرسيليا
٢٥	رهبر جهاد	٢٠٠	٣٠	١٨٢٦	مرسيليا
٢٦	بومبه	٣٠٠	٤٥	١٨٢٤	تريسته
٢٧	جهاد بكر	١٨٥	٢٤	١٨٢٥	جنوه
٢٨	فوه	—	٢٤	١٨٢٢	الاسكندرية
٢٩	شاهد جهاد	١٨١	٢٤	١٨٢٥	الاسكندرية

الاباريق

العدد	الاسم	عدد البحارة	عدد المدافع	سنة نزولها الى البحر	جهة انشائها
٣٠	سمند جهاد	٨٩	١٨	١٨٢٥	مرسيليا
٣١	بادىء جهاد	٨٩	٢٤	١٨٢٢	امريكا
٣٢	نمرة ٢	٨٩	١٨	١٨٢٣	—
٣٣	شهباز جهاد	٨٨	١٨	١٨٢٥	مرسيليا

الغواليت

العدد	الاسم	عدد البحارة	عدد المدافع	سنة نزولها الى البحر	جهة انشائها
٣٤	صاعقة	—	٢٤	١٨٢٨	ليفورن
٣٥	تمساح	٨٨	١٦	١٨٢٦	مرسيليا
٣٦	غولت جديد	٥٢	١٢	١٨٣٨	الاسكندرية

الوابورات

العدد	الاسم	سنة انشائها
٣٧	برواز بحرى	١٨٥٠
٣٨	اسيوط	١٨٤٦
٣٩	جيلان بحرى	١٨٤٩
٤٠	الشرقية	١٨٤٦
٤١	رشيد (١)	١٨٤٦

النقالات

لم يتناول احصاء دقيق عددها على وجه التحديد .

(١) سمى فيما بعد بالفرقاطة « مخبر سرور » وركبت آلاته بلندن . وتجد المزيد من التفصيل منشوراً فى كتاب الامير عمر طوسون : «صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على»، ص ١٣٨ — ١٤٣ .

سفن الاسطول المصرى

فى عهد الخديو اسماعيل (١)

العدد	الاسم	النوع	عدد المدافع	جهة انشائها
١	محمد على	فرقاطة	٢٨	امريكا
٢	شير جهاد	فرقاطة	٢٨	تريسته
٣	لطيف	قرويت	٦	الاسكندرية
٤	الخرطوم	مدفعية	٥	انكلترا
٥	دنقلة	دراعة	٨	انكلترا
٦	الصاعقة	قرويت	٨	الاسكندرية
٧	سنار	مدفعية	٧	انكلترا
٨	زرخ نمرة ١	دراعة	٢	فرنسا

(١) قارن فى هـذا الصدد — على مبارك باشا : « الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة » ، الجزء السابع ، ص ٨٣ ، اذ أحصى مؤلفه الاسطول المصرى فى عهد الخديو اسماعيل فذكر ان عدد قطعه ١٤ سفينة حربية وثلاثة مراكب أخرى صغيرة . أما الاستاذان جورج جندى بك وجاك تاجر فقد أوردا فى الصفحة ٢١٧ من مؤلفهما « اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية » بياناً مأخوذا عن الملف ٩/١٥ المحفوظ بقصر عابدين جاء فيه ان وحدات البحرية المصرية فى سنة ١٨٧٣ بلغت أربعين قطعة فيما عدا الصنادل والفلايك والمواعين ثم ذكرا فى الصفحة ٢٢٥ أسماء السبع والعشرين باخرة تجارية التى كانت تتألف منها البحرية التجارية فى السنة ذاتها . ومما يلاحظ فى هذين البيانين الاخيرين ان أسماء البواخر التجارية تكرر ذكرها أيضاً ضمن وحدات الاسطول الحربى مما أدى الى بلوغ عدد هذه الاخيرة أربعين قطعة ونيف مع انها فى الحقيقة لاتعدو الاحدى والعشرين كما بينا . راجع تأييداً لرأينا « الكوكب الدرى فى الاستقراء المصرى » (Statistique de l'Egypte) سنة ١٨٧٣ ، ص ٤٧ . واسماعيل سرهنك باشا : « حقائق الاخبار عن دول البحار » ، الجزء الثانى ، ص ٥٥ وص ٢٨٧ . والاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك : « تاريخ الحركة القومية — عصر اسماعيل » ، الجزء الاول ، ص ١٩٧ وهامش ص ١٩٩ .

تابع سفن الأسطول المصرى فى عهد الخديو اسماعيل

العدد	الاسم	النوع	عدد المدافع	جهة انشائها
٩	زرخ نمرة ٢	دراعة	٢	فرنسا
١٠	المحروسة	سفينة حربية لركوب الخديو	٨	لندن
١١	مصر	سفينة حربية لركوب الخديو	٦	تولون (فرنسا)
١٢	الغربية	سفينة حربية لركوب الخديو	٤	تولون (فرنسا)
١٣	الطور	طرادة	٢	انكلترا
١٤	اسوان	نقالة	٤	انكلترا
١٥	شندى	نقالة	٤	انكلترا
١٦	اسيوط	نقالة	٢	الاسكندرية
١٧	الجعفرية	طرادة	٣	انكلترا
١٨	سمنود	نقالة	٢	انكلترا
١٩	نور الهدى	طرادة	٢	انكلترا
٢٠	مخبر	طرادة	٢	انكلترا
٢١	عجمى	طرادة	٢	انكلترا

أهم المصطلحات البحرية

قديماً وحديثاً

عموميات :

* **البحرية** (Marine) : قوة الدولة فى البحر .
* **الاسطول** (Flotte) : كلمة معربة من لفظ " Stolos " اليونانى ومعناها طائفة من السفن الحربية .
* **العمارة** — الدونانمة — (Escadre) : جزء من القوة البحرية تحت إمرة أمير بحار .
* **السفينة** (Vaisseau ou navire) : المركب الكبير ، من سَفَنَ الشيء سفناً أى قشره ، وقد قيل لها ذلك لقشرها وجه الماء .
* **الوحدة أو القطعة** (Unité) : الواحدة من السفن الحربية .
* **المركب** (Barque ou embarcation) : واحد المراكب البحرية .
* **دار صناعة السفن** — الترسانة أو الترسخانة — (Arsenal) : هى المحل المعدّ لانشاء السفن . وقد أخذ الأسبان عن العرب هذه الكلمة وحرفوها فصارت عندهم (Darcinah) وسمّاها البرتغاليون (Tarcena أو Taracena) وأطلق عليها الايطاليون فى أول الأمر كلمة (Darcena) ثم (Terzana) ثم (Arzana) حتى أصبحت (Arzanale) .

أنواع مراكب العرب :

* **الطريدة** (Tartane) : مركب حربى صغير الحجم سريع السير كان يستخدم خصيصاً لنقل الخيل للأسطول ويتسع لزهاء ٦٥ حصاناً وكان مفتوح المواخير بأبواب خاصة تسمح بدخول وخروج الخيل ؛ وقد أخذ الافرنج عن العرب هذه التسمية فعرفت بالاسبانية باسم (Tarida) وبالايطالية باسم (Tartana) .

* **الشينى أو الشونة** : مركب حربى كبير ذوأبراج وقلاع يستعمل للدفاع والهجوم ويجهز فى أيام الحرب بالسلاح والنفطية ويحشد بالمقاتلة والجنود البحرية .

* **البارجة** : هى كلمة هندية عربها العرب عن لفظة « بيرة » الهندستانية وهى سفينة حربية أكبر من الشينى فى الحجم وتسع خمسين بحاراً .

* **المسطح** (Mistic ou Mistique) : نوع من المراكب الحربية الكبيرة الحجم يشبه البطسة ويؤتى بها وقت الحرب خلف المراكب الصغيرة خشية أن تغرق هذه فى واديها ، ويسميها الأسبانيون (Mistico) والبرتغاليون (Mestech) .

* **الشذاة والسميرية** : ضرب من السفن البحرية والنهرية كانت تستعمل فى الحروب فى عهدالدولة العباسية لنقل آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين وكان بها حوالى أربعين مجدافاً .

* **الغراب أو الغرغرة** (Corbeau) : نوع من المراكب أخذه المماليك عن القرطاجنيين والرومان ، وقد سمي بهذا الاسم لأن مقدمه كان يشبه رأس الغراب أو الطائر ويمثل في الماء الطير في الهواء . وكان يحمل الغزاة ويسير بالقلع كما كان يسير بعدد من المجاديف لايتجاوز ١٨٠ مجدافاً . ومن خصائصه أنه كان مزوداً بجسر من الخشب يهبط على مركب العدوّ ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالاساليب البرية .

* **العُكْبِرى** : مركب يشبه الغراب ولكنه أوسع منه ويسع ٦٠ مجدافاً ويسقف وقت القتال حتى لا ينال الجدافين شيء من السهام والحجارة .

* **الشُّبَّاك أو الشَّبَّاك** (Chébec) : مركب حربي صغير الحجم كان يسير عادة في البحر الأبيض المتوسط ، ويسميه الاسبان (Jabèque) ، والايطاليون (Sciabecco و Xambecco) ، والبرتغاليون (Xabeca) .

* **البطسة** (Nave ou Nef) : نوع من المراكب أخذه المماليك عن الصليبيين وكان يستعمل في حمل المنجانيق والمقاتلة والسلاح والذخيرة وسائر آلات الحرب وكان يبلغ عدد قلوعه الاربعين .

* **القراقر أو القرقور** (Caraque) : نوع من المراكب كان يستعمل في تموين الاسطول بالزاد والمتاع والذخيرة ومنه ما كان بثلاثة ظهور وبثلاثة قلاع لايخشى معها الرياح العاصفة ، وكلمة «قراق»

مأخوذة عن الاسم الايطالى (Caracca) المشتقة من كلمة (Caricare) ومعناها حمّل (Charger) . ولعلّ الاسم الايطالى نفسه مأخوذ عن كلمة (Curach) وهى سفينة من سفن أهالى البلاد السكنديناڤية نزلت بهم إلى البحر الأبيض المتوسط فى القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٤٣) .

* **الشيطى** : هو نوع من المراكب يسير بثمانين مجدافاً ووظيفته كشف العدو وابلاغ خبره للقراقير والغربان وغيرها من السفن وهى تشبه اليوم سفن الاستطلاع (Avisos) .

* **السلورة** : هى نوع من المراكب بين الشيطى والعشارى فى الحجم ويسير بأربعين مجدافاً .

* **العشيرى أو العشارى** : هى نوع من المراكب يسير فى النيل ويجر بـ ٢٠ مجدافاً وينقل البضائع والرجال من ساحل إلى آخر ويتبع الأسطول .

* **الرىملس** : نوع من العشاريات كان خاصاً بالخليفة يخرج به أيام الخليج وغيرها .

* **الزهيرة** (Baggala) : مركب كان يستعمله العرب وحمولته تتراوح بين مائة وأربعمائة طن وهو ذو صاريين وأشرعة على شكل شبه المنحرف ، ومن خصائصه أن مؤخره أعلى وأعرض من مقدمه وتزين جوانبه الرسومات والنقوش ، وكان يسير فيما بين السويس وبلاد الهند وشواطىء القارة الافريقية .

* **القارب** (Boutre) : مركب صغير ذو صاريين وأشرعة على شكل شبه المنحرف كان يستعمله العرب في رحلاتهم البحرية إلى سواحل القارة الافريقية الشرقية .

* **الشلندى أو الصندل** (Chaland) : مركب حربى كبير مسطح كان مخصصاً لنقل المقاتلة والأسلحة ، ويسمى باللاتينية (Chelandium) ، وبالروسية (Schelando) ، وبالايطالية (Scialando) .

* **الماعونة** (Mahonne) : مركب حربى من مراكب الأساطيل الاسلامية من نوع الفيَّاسة ، وقد عرف عند الطليان باسم (Maona) و (Mahuna) و (Magana) .

* **الشبكة** (Gabare) : مركب شراعى صغير .

* **مركب غليظ** (Gabasse) : مركب شراعى كبير .

* **المعبر والصلوغ** : نوع من السفن الصغيرة تعبر فيها العساكر من شاطىء إلى شاطىء أو من مكان إلى آخر وكانت تستعمل كذلك فى نقل الذخيرة والأسلحة .

* **السنبوك أو الصنبوك** : سفينة صغيرة من ملحقات الأسطول تسير فى البحار والأنهار .

* **مركب قرصنة** (Lougre ou Brigantin) : سفينة شراعية كان يستعملها القرصان فى جولاتهم البحرية .

أنواع المراكب فى القرن التاسع عشر :

* **الغليون أو الغليونه** (Galion) : مركب حربى قديم كان يحمل حوالى مائة وستة وثلاثين مدفعاً كبيراً ويتّسع لزهاء ألف من من الجنود ، وهو فى الأصل اسبانى وكان يستعمل فى النقل ما بين إسبانيا ومستعمراتها فى بلاد المكسيك وبيرو . وقد حلت محله اليوم المدرعة (Cuirassé) .
* **الفرقاطة أو الفرقطونه** (Frégate) : مركب حربى قديم كان يحمل حوالى ٦٤ مدفعاً كبيراً وصغيراً و يتّسع لزهاء ٥٠٠ من الجنود. وقد حلت محله اليوم الطرادة (Croiseur) .
* **القرويت** (Corvette) : مركب حربى قديم كان يحمل من المدافع عدداً يتراوح بين ٢٢ و٤٥ ويتسع لزهاء ١٠٠ من الجنود .
* **الغولت أو الغيلطة** (Goélette) : مركب حربى قديم ذو ساريتين ومن مميزاته أنه سريع السير نظراً لضيق عرضه وطوله وكان يحمل ٢٢ مدفعاً صغيراً ولا يتجاوز جنوده المائة .
* **الابريق أو البريجة** (Brick) : مركب حربى قديم ذو ساريتين فى كل منهما أربعة أشرعة مربعة وكان يحمل ١٨ أو ١٦ مدفعاً صغيراً ولا يتجاوز جنوده المائة .
* **الحراقة** (Brulôt) : مركب حربى قديم كان يستعمل فى حمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقية (Feu grégeois) وبها مدافع خاصّة تقذف النيران . وقد حلت محله اليوم المدمرة (Contre-torpilleur) .

* **الكوتر** (Côtre) : زورق كبير وسريع كان مزوداً بـ ١٢ مدفعاً صغيراً ويتسع لزهاء ٤٠ من الجنود .
* **النقالة أو الحمالة** (Transport) : مركب كان مخصصاً لحمل المؤونة والزاد لرجال الأسطول .
* **الشانية** (Shooner) : مركب شراعي ذوصاريين مثل الغولت .
* **المُقلَعة** (Galère) : مركب حربي ذو ثلاث صفوف مجاديف عادة وكان يسير بالقلاع أيضاً .
* **مُقلعة صغيرة** (Galiote) : مركب أصغر من سابقه في الحجم وأخف منه في الوزن .
* **الغبّاسة** (Galéasse) : مركب أكبر من المُقلَعة في الحجم وأثقل منها في الوزن وكان مستعملاً لغاية القرن الثاني عشر .
* **القراولة** (Caravelle) : مركب كان يستعمله الأتراك والايطاليون والأسبانيون والبرتغاليون وكان يسير بأربعة قلاع ، وقد اكتشف خريستوفوس كولومبوس القارة الامريكيـة بقراولة من هذا النوع .
* **الوابور** (Vapeur) : مركب صغير يسير بالبخار .

أنواع المراكب الحديثة :

* **المدرعة** (Cuirassé) : هي كبرى السفن الحربية الحديثة وعلى جوانبها أدرعة تحميها من الطوربيد .
* **الطرادة** (Croiseur) : هي سفينة حربية حديثة تمتاز بسرعتها وتبين للأساطيل طريقها المأمون .

* **المدمرة** (Destroyer ou contre-torpilleur) : هى سفينة حربية حديثة ذات سرعة فائقة تحمى القوافل البحرية .

* **النسافة** (Torpilleur) : هى سفينة حربية حديثة مخصصة لقذف الطوربيد على سفن الاعداء .

* **الغواصة** (Sous-marin) : سفينة حربية حديثة تغوص تحت سطح الماء فتلقى على سفن الاعداء الطوربيد على غرة .

* **سفينة مدفعية** (Canonnière) : سفينة صغيرة الحجم مزودة ببعض المدافع للدفاع عن الشواطىء .

* **حاملة الطائرات** (Porte-avions) : سفينة حديثة تستعمل كمطار جوى للطائرات فى عرض البحار .

* **باثة الألغام** (Mouilleur de mines) : سفينة معدة لبث الألغام فى البحر .

* **لاقطة او كاسحة الألغام** (Dragueur de mines) : سفينة معدة لالتقاط الألغام التى يبثها الأعداء فى البحار .

* **زورق استطلاع أو استكشاف** (Aviso ou Vedette) : مركب يتقدم السفن الكبيرة ويكشف لها الطريق .

* **طوافة** (Patrouilleur) : مركب صغير يتولى حراسة الشواطىء .

* **باخرة** (Paquebot) : مركب تجارى يسير بالبخار ويحمل ركاباً ومسافرين .

* **مركب بضائع** (Cargo-boat) : مركب تجارى ينقل البضائع من بلد الى آخر .

* **الجسر العائم** (Ponton ou Péniche) : نوع من المراكب يشبه الصندل ويستعمل لترميم أو تصليح السفن التى يعتريها خلل فى عرض البحار .
* **اليخت** (Yacht) : مركب يستعمل فى الرحلات البحرية .
* **الزورق** (Chaloupe) : مركب صغير يسير بالأشرعة أو بالمجاديف ويتبع المراكب الكبيرة .

أجزاء المركب :

* **المرساة أو الهلب** (Ancre) : آلة حديدية ثقيلة تلقَى فى جوف البحر لربط المركب عند نقطة معينة .
* **بدن المركب** (Coque) : هيكل المركب الخارجى فيما عدا الصوارى والقلاع .
* **مقدم المركب** (Proue) : أجزاء المركب الأمامية .
* **مؤخر المركب** (Poupe) : أجزاء المركب الخلفية .
* **جانب المركب الأيمن** (Tribord) : جزء المركب الواقع على يمين الناظر الى المقدم .
* **جانب المركب الأيسر** (Bâbord) : جزء المركب الواقع على يسار الناظر الى المقدم .
* **ظهر المركب** (Pont) : أرضية المركب العلوية .
* **قاع المركب** (Cale) : جوف المركب فى أسفل أجزائه .
* **الصارى أو السارية** (Mât) : العمود الذى ينصب فى المركب

لتعليق القلوع ، والصارى أعمّ من السارية . وغزوة « ذات الصوارى » مشهورة . وللمركب المهم عادة ثلاثة صوارى عمودية هى : الصارى الكبير (Le grand mât) وهو المنصوب فى وسط المركب ، وصارى المازانة (Le mât de misaine) وهو المنصوب فى منتصف الجزء الأمامى ، وصارى المؤخر (Le mât d'artimon) وهو المنصوب فى منتصف الجزء الخلفى . وللمركب صار رابع أفقى موضوع فى صدر المركب ويخرج عن المقدم ويسمى صارى المقدم (Beaupré) .

* **وزرة الصارى** (Gaburon) : كسوة تحت الصارى بالخشب .

* **المسطح** (Hune) : أرضية من الخشب موضوعة حول الصارى عند نهاية القلع الأول (Bas-mât) وبداية القلع الأعلى (Voile de perroquet) .

* **الدَوقل** (Vergue) : خشبة طويلة مستعرضة فى الصارى وتحمل القلع .

* **القريّة** (Antenne) : خشبة أطول من الدوقل مستعرضة فى الصارى وتحمل القلع ويطلق عليها فى اللغة العامية كلمة «أرية» .

* **القلع او القلاعة او الشراع** (Voile) : قماش متين يُربط بدوقل الصارى ويتلقى الرياح التى تُسيّر المركب . ويحمل كل صارى خمسة أشرعة ، فالصارى الكبير يحمل : (La grande voile) و (Le grand hunier) و (Le grand volant) و (Le grand perroquet) و (Le grand cacatois) ، وصارى المازانة

يحمل : (La misaine) و (Le petit hunier) و (Le petit volant)

و (Le petit perroquet) و (Le petit cacatois) ، وصارى المؤخر

يحمل : (La brigantine) و (Le perroquet de fougue)

و (Le volant d'artimont) و (La perruche)

و (Le cacatois de perruche) . وأما صارى المقدم فيحمل ثلاثة

أشرعة هى : (Le petit foc) و (Le grand foc) و (Le clinfoc).

* **المرسة** [**الأمراس**] (Cordage) : الحبل الذى يربط القلع بالمركب .

* **المجداف** (Rame ou Aviron) : خشبة طويلة مسطحة فى احدى نهايتيها لتسيير المركب بوساطة الجدافين .

* **الدفة** (Gouvernail) : آلة موضوعة فى المؤخر تغوص فى البحر وتوجه المركب وجهته .

* **يد الدفة** (Barre) : خشبة موضوعة فى أعلى الدفة لقيادتها .

* **الرفاص** (Hélice) : آلة موضوعة فى أسفل مؤخر المركب تدور أجزاؤها تحت سطح الماء فتولد قوة تدفع المركب الى الامام .

* **حمولة او شحنة المركب** (Navée ou Cargaison) : مجموع البضائع التى ينقلها المركب .

* **علم المركب** (Pavillon) : الراية التى ترفرف على السارية .

الرتب البحرية المصرية
ومقابلها فى الأسطولين البريطانى و الفرنسى

فى السلاح البحرى المصرى	فى السلاح البحرى البريطانى	فى السلاح البحرى الفرنسى
سيد البحار الأعظم	Admiral of the Fleet	Amiral de la Flotte
كبير أمراء البحار	—	Amiral
أمير البحار	Admiral	Vice-amiral d'escadre
أمير البحر	Vice-Admiral	Vice-amiral
أميرالاى بحرى	Rear-Admiral	Contre-amiral
قائمقام بحرى	Commodore	Capitaine de vaisseau
بكباشى بحرى	Captain	Capitaine de frégate
صاغ بحرى	Commander	Capitaine de corvette
يوزباشى بحرى	Lieutenant-Commander	Lieutenant de vaisseau
ملازم أول بحرى	Lieutenant	Enseigne de vaisseau de 1ère classe
ملازم ثان بحرى	Sub-Lieutenant	Enseigne de vaisseau de 2ème classe
طالب بحرى ممتاز	Midshipman	Aspirant
طالب بحرى	Cadet	Cadet
صول بحرى	Warrant Officer	
كبير المساعدين البحريين	Chief-Artificer	
مساعد بحرى	Artificer	
صنايعى	Artisan	Artisan

في السلاح البحري الفرنسي	في السلاح البحري البريطاني	في السلاح البحري المصري
Premier Maître	Chief Petty Officer	ريس ممتاز
Maître	Petty Officer	ريس
Quartier-Maître	Leading Seaman	نوتي ممتاز
	Able-Bodied Seaman — A B.	نوتي أول
Matelot	Ordinary Seaman	نوتي
Mousse	Boy 1st Class	نصف نوتي
Moussaillon	Boy 2nd Class	ولد
	Petty Officer Writer	أمين بلوك
	Writer	وكيل أمين
Chef-infirmier	Sick Berth C.P.O.	ريس ممتاز تومرجي
	Sick Berth P. O.	ريس تومرجي
	Leading S.B. Attendant	نوتي ممتاز تومرجي
	S B. Attendant	نوتي اول تومرجي
Infirmier	S.B.A. Probationer	نوتي تومرجي
Vigie	Look-out	ديدبان
Chauffeur	Fireman	وقاد
Maître d'hôtel	Steward	سفرجي
Calfat ou radoubeur	Shipwright	قلفاط
Menuisier	Joiner	نجار

فى السلاح البحرى المصرى	فى السلاح البحرى البريطانى	فى السلاح البحرى الفرنسى
حداد	Blacksmith	Forgeron
سمكرى	Plumber	Plombier
نقاش	Painter	Peintre

ومن أراد المزيد فليرجع الى المصادر الآتية :

المقريزى : « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » . والمقريزى : « تاريخ السلاطين المماليك » . وميشيل امارى : « المكتبة العربية الصقلية » . Michele Amari : "Bibliotheca Arabo-Sicula". ولويجى رنالدى : « الكلمات الايطالية المشتقة من اللغة العربية » : Luigi Rinaldi : " Le Parole italiane derivate dall' Arabo ". وجورجى زيدان : « تاريخ التمدن الاسلامى » . وأحمد زكى باشا : « بقايا العرب فى فرنسا وسويسرا » . واسماعيل سرهنك باشا : « حقائق الاخبار عن دول البحار » . والمسيو دوزى : « ملحق المعاجم العربية » : R Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes . والبستانى : « دائرة المعارف العربية » . وابن مماتى : « قوانين الدواوين » نشرها الدكتور عزيز سوريال . والاستاذ عبد الفتاح عباده : « كتاب سفن الاسطول الاسلامى » . والدكتور زكى محمد حسن : « كنوز الفاطميين » ص ١١٢ . والدكتور على ابراهيم حسن : « دراسات فى تاريخ المماليك البحرية » ص ٣١٨ . والامير عمر طوسون : « صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على » ص ٢٠٩ .

ثلاثة اقتراحات ختامية

فى سبيل احياء السلاح البحرى الملكى المصرى

الآن وقد أشرف الكتاب على نهايته . أسوق إلى ولاة الأمور اقتراحات ثلاثة عسى أن يكون لها نصيب من الاصغاء فحظ من التنفيذ .

الاقتراح الاول : إنشاء متحف بحرى ، على مثال المتحف الحربى ، يضم بين جوانبه كل ما يتعلق بالبحرية المصرية منذ عصر الفراعنة حتى اليوم . وتعرض فيه هياكل مصغرة لدور صناعة السفن ولمختلف أنواع المراكب – حربية أم تجارية – التى جابت عباب البحار ورفرف على ساريّاتها العلم المصرى من السواحل المصرية إلى شواطىء القارات الخمس . كما يخصص جزء من الدار لأزياء وملابس وأوسمة وأعلام رجال البحرية فى شتّى العهود وترسم لوحات زيتية تصور المعارك البحرية التى اشترك فيها الأسطول المصرى وتحفر تماثيل من البرونز أو من الحجر تمثل أمراء البحار الذين قادوا السفن المصرية ، ظافرة منتصرة ، فى أقاصى البحار والمحيطات . وأخيراً تؤلف مكتبة تضم المجلدات والاسفار التى تناولت فنون البحرية بوجه عام وتاريخ البحرية المصرية بوجه خاص وتزخر بالمراجع التاريخية والمصادر العلمية التى تساعد الباحث على التمحيص والتأليف .

إن مثل هذا المتحف موجود بالفعل فى لندن وفى باريس وفى برلين وفى أهم العواصم الأوروبية ، ولعل المتحف البحرى بأوسلو عاصمة بلاد النرويج من المتاحف التى نالت كبير إعجابى لما حواه من آثار قديمة وحديثة عرضت فى دقة وترتيب ونظام وتنسيق قل أن تجدها مجتمعة فى غيره من المتاحف .

وحبذا لو وقع اختيار الحكومة على جزء من الأرض المقامة عليها ثكن قصر النيل التى جلت عنها القوات البريطانية أخيراً لاقامة متحفين مستقلين يناظران دار الآثار يخصص أحدهما لشئون الجيش وثانيهما لشئون البحرية .

الاقتراح الثانى : وضع مجلد فى البحرية المصرية من أقدم العصور حتى الآن بمعرفة لجنة مؤلفة من كتاب تخصصوا فى هذه الناحية من نواحي حياتنا القومية ينضم اليهم بعض ضباط السلاح البحرى الممتازين ممن سبق لهم الاشتغال علمياً وعملياً بشئون البحرية . وحبذا لو اتخذنا من المؤلفين الفرنسيين القيّمين « تاريخ البحرية » الصادر عن دار مجلة الالستراسيون (L'Illustration) و« تاريخ بحرية فرنسا» الصادر عن مطبعة لاروس (Larousse) هدى نهتدى به فى إخراج مجلد نفيس يضم بين دفتيه تاريخنا البحرى .

الاقتراح الثالث : وضع معجم يتناول المصطلحات البحرية قديمها وحديثها بمعرفة لجنة مكونة من بعض أعضاء مجمع فؤاد الأول

للغة العربية الاجلاء وبعض أساتذة كليتى الآداب بجامعتى فؤاد وفاروق تعاونهم صفوة ممتازة من ضباط السلاح البحرى المصرى .

هـذه اقتراحات ثلاثة جديرة بأن توضع موضع التنفيذ تمجيداً لمـا سجلته البحرية المصرية من صفحات مجد وفخار وتوطئة لمـا سيتبوءه السلاح البحرى الناهض من شأن عظيم فى الغد القريب .

شعار السلاح البحرى الملكى المصرى

المراجع التاريخية الخاصة بالبحرية المصرية

باللغة العربية :

الامير عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على : الجيش المصرى البرى والبحرى (طبعة سنة ١٩٤٠) .

الامير عمر طوسون : الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٥) طبعة سنة ١٩٣٦ .

الاستاذ سعد مرسى احمد : الجيش والبحرية فى عهد البطالمة (الرسالة التاسعة بعد المائة من رسائل الثقافة الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى) .

الصاغ البحرى محمود عبد الهادى : ممهدات فى تاريخ البحرية (الرسالة الرابعة والخمسين من رسائل الثقافة الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى) .

بحار مجهول : صفحات من تاريخنا الحربى البحرى (سلسلة مقالات نشرتها مجلة « جيشنا » الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى فى اغسطس وسبتمبر واكتوبر سنة ١٩٤٤) .

الآنسة سيدة اسماعيل كاشف : الجيش والبحرية فى مصر من الفتح العربى الى بداية العصر الطولونى (الرسالة الثامنة والاربعين من رسائل الثقافة الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى) .

الدكتور على ابراهيم حسن : الجيش والبحرية فى عصر المماليك (الرسالة الثالثة والخمسين من رسالة الثقافة الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى) .

البكباشى عبد الرحمن زكى : من أعلام الجيش والبحرية فى مصر (الرسالة الحادية والستين من رسائل الثقافة الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى).

الاستاذ عبد الفتاح عبادة : كتاب سفن الاسطول الاسلامى وأنواعها ومعداتها.

الاستاذ محمد ياسين الحموى : تاريخ الاسطول العربى.

باللغة الفرنسية :

Vice-Amiral Durand-Viel : Les Campagnes navales de Mohammed Aly et d'Ibrahim (2 volumes) 1935.

Commandant Georges Douin : Les premières frégates de Mohamed Aly (1824 — 1827) 1926.

Commandant Georges Douin : Navarin (6 Juil. -20 Oct. 1827) 1927.

Vice-Amiral Jurien de La Gravière : La Marine des Ptolémées (2 volumes) 1885.

Gaston Maspéro : De quelques navigations des Egyptiens sur les côtes de la mer Erythrée (Etude publiée dans la *Revue Historique*, t. IX)

Robiou : Recherches nouvelles sur quelques périples d'Afrique dans l'Antiquité.

باللغة الالمانية :

Dümichen : Die Flotte einer Aegyptischen Kœnigin.

باللغة الايطالية :

Angelo Sammarco : La Marina Egiziana sotto Mohamed Ali. Il contributo italiano (1931).

كتب المؤلف

١ - ملكية الرسائل وسريتها ومتى يجوز تقديمها للقضاء ؟

٢ - شطب العبارات الجارحة من المذكرات والاحكام - باللغتين العربية والفرنسية .

٣ - ترك واتاتورك - ترجمة فرنسية .

٤ - التزوير المعنوى فى القانون المصرى - باللغة الفرنسية .

٥ - المحاماة قديماً وحديثاً - بالاشتراك مع الاستاذ عزيز خانكى بك .

٦ - مشاهدات سائح فى دول الشمال .

٧ - الذكرى المئوية لتثبيت محمد على باشا الكبير واسرته على عرش مصر .

٨ - امراء البحار فى الاسطول المصرى .

تحت الطبع

١ - تاريخ البحرية المصرية .

٢ - المعارك البحرية الحاسمة فى البحر الابيض المتوسط .

٣ - جزر البحر الابيض المتوسط تحت حكم المصريين .

٤ - من محمد على باشا الكبير الى فاروق الاول .

٥ - الوزارات المصرية من وثائقها الرسمية .

٦ - على هامش القضاء والتشريع .

فهرست الصور

صفحة

* محمد على باشا يشير الى قطع الاسطول الراسية فى ميناء الاسكندرية . ٣
* اسماعيل بك جبل طارق ، اول امراء البحار ١٩
* الامير محمد سعيد وهو طالب فى البحرية المصرية ٥٥
* الامير محمد سعيد وهو امير البحار فى الاسطول المصرى ٥٩
* حسن الاسكندرانى باشا ، سادس امراء البحار ٨١

فهرست الكتاب

صفحة

* كلمة تصدير بقلم حضرة صاحب السعادة امير البحار محمود حمزة باشا
* مقدمة المؤلف ١
* نظرة عابرة فى تاريخ الاسطول المصرى من أقدم العصور حتى اليوم ٣
* اسماعيل بك جبل طارق او الجبل الاخضر ١٤
* محرم بك ٢١
* عثمان باشا نور الدين ٣٢
* مصطفى باشا مطوش ٤٥
* الامير محمد سعيد باشا ٥٤
* حسن باشا الاسكندرانى ٦٧
* سفن الأسطول المصرى فى عصر محمد على نقلاً عن جدول حسن الاسكندرانى باشا ٩٠
* سفن الأسطول المصرى فى عهد الخديو اسماعيل ٩٤
* أسماء أهمّ الوحدات البحرية وأنواعها وأجزائها قديمًا وحديثًا . . ٩٥
* ثلاثة اقتراحات ختامية ١٠٩
* المراجع التاريخيـة الخاصة بالبحرية المصرية ١١٢
* كتب المؤلف ١١٤
* فهرست الصور ١١٥
* فهرست الكتاب ١١٦

المطبعة العصرية
Bibliotheca Alexandrina
03399181
09